

النقد الأدبي ومصادره

كلمة :

الحركة الفكرية لمختلف العصور ضرورة لمعرفة الحياة العلمية والأدبية أو نفسيات الجماعات وطرق التحري عن آرائها وما تستدعي من معرفة وكأننا نحتاج الى دليل في ذلك بل الاستدلال من المهمات ... لما نرى من التهجيم على التاريخ من وجوهه ، وعلى (التاريخ الأدبي) ، أو على تاريخ النقد الأدبي من كل صوب من أناس لا شسك أنهم اعداء (التاريخ السياسي) و (الأدبي) معاً ...

والشعراء والحكماء وتوالمهم جعل اقوالهم توزن بموازين التقدير والاعجاب أو الالتفات الى مهمات الشعر والحكمة لتبين وسائل القيمة ووجره الاهتمام بها وطرق تقديرها بل ان ظهور الأدباء المتوالين بمزايأ خاصة بكل واحد وأد الالتفات وحصار تعاقبهم يعد من اسباب التكامل وعوامل الاهتمام بترك الوحشي ، ومراعاة الرقة والوصف والمدح والثناء ، واختيار المعلقسات والحوليات مثلاً أو مدح من يقول (ومن ومن) اعني (زهير بن ابي سلمى) او ضرب قباب لأكابر الشعراء مثل النابغة الذبياني في اختيار أفضل الشعر في الموسم من (اسواق العرب ^(١)) وترجيح أفضل شاعر ليكون شاعر القبيلة الذاب عنها الموضح مزايأها ...

كل هذه من وسائل اكبار الشعر ، وانتخاب جيده وانفجار قدرة صاحبه ، وهذا

(١) بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب : في ثلاثة أجزاء للاستاذ السيد حمزة شكري الألوسي الخالصة الثانية في المطبعة الرجائية بمصر سنة ١٩٢٤ م .

واسواق العرب في الجاهلية والاسلام تأليف الاستاذ سعيد الأفغاني . المطبعة الخاضعية دمشق ١٩٢٧ م .

عباس المزايوي

نقد في المعنى ، ووسيلة التقدير او الانتقاء ، بل ان حفظ هذه المختارات التي نالت مكانة انتقاء ونقد معاً وبيان وجود ما جمعت من ثناء ...

واجل من هذا ان ظهور الشعراء متواليًا وتميزهم وتفوقهم بمزايا جديدة يشير الى نقد ما قام به السابقون ، فيقال بزعم اوفاقهم وامثال ذلك ويراد بهذا التقسيد الأدبي ابداء خير ما عندهم من شعر ، والأمر المهم ان النقد في الدرجة الأولى يعتبر في النظم فإنه تتجلى فيه الصنعة بوضوح ، وهو موطن الأدب ، ومحل الحكمة ، وليرى البيئات الأجل ... اما اعتبار الأدب العربي مقصوراً على المنظوم والمنثور الفنيين فهذا هو الصواب ويرجح احسنه ، والعرب تطور الشعر عندهم ، ونال موقفاً من تفرسهم ومصار يهمل ما قلت قيمته ، وهكذا ظهر أحسن ما فيه بمزايا خاصة او عامة .. فبعد هذا الانتقاء نقداً عملياً ، فلم يحفظ المرء إلا خير الشعر ، ويبقى كل ما هو خير من سابقه ..

والنزوة الأدبية عندنا من أول أمرها شذيرة ، فلم تحتج الى ما يكافئها من التاريخ ، والعلوم ، فان ذلك لا علاقة له بالأدب الراقي وان لم يتجرد منه ، او بعدت من ضلته ، إلا ان التاريخ اقرب الى تصوير الوقائع ووصف الحالات الاجتماعية والحروب .. مما يعد بياناً . لا شك ان الأدب تابع لأساليب يحتاج الى تقدير قيمتها كل من تذوق الأدب وادرك وجود الصنعة ، وكذا تختلف اوضاعه في عصوره ، وتتنوع هذه الأساليب او تبديل الرغبات الأدبية في الأداء والتعبير عن الأغراض وهنا يتوجه الى المتانة والضعف ورقة المعنى واضطرابه والترويق ورنائيه ، والزينة ومجدها وما مائل من امور عديدة ، وبإلخص النقد في أن مقياسه الذوق ، والرفعة أو دقة المعنى وحسن الاداء .

فالذوق يحكم بأن هذا الشعر صناعي ، مفتعل ، او أنه متكلف ، فيراعى في التمسيد للوضوح ، أو التقيد او وصف ما لم ير ، او القيام بما يشاهد الى غير ذلك من النصيحة والالتواء والبلاغة . والضرورة تدعو أن يحكم في نقد الأدب الأدباء وخدمهم دون العناء .

النقد الأدبي ومصادره

وهنا يتولد النقد الأدبي من نواح عديدة :

- ١ - ما قاله ادباؤنا الأكارب .
 - ٢ - أن ن فكر فيما هنالك وناقش ، ونظر النتيجة وهذه الحالة لا تخلو من تأثير ، ولا يهنا امر ذلك بقدر الاستفادة من التجربة .
 - ٣ - بعد الاطلاع ان ن فكر تفكيراً ثانياً في المنظوم والمنثور وما يكشف لنا عن نتائجه في المقابلات ، او أن تقدم هذه المعرفة وتقابل بينها وبين غيرها ونحكم ذوقنا فنختار الأرجح .
 - ٤ - ان ندقق الآثار الأدبية دون تأثر بالنقد الأدبي بآقوال الأدباء ، وتوصل الى نتيجة وهذا صعب .
- ترجع تدقيق النقد وتاريخه ، والآثار وما قيل فيها ، او ما يترتب عليها ، والقواعد الموضوعية ، وما تتوصل اليه من نتائج او نعمل الأمر لتتوصل على فكرة صائبة ولا يهنا حينئذ أن توافق ما قاله ادباؤنا ، او تخالفه على ان نشترط ما اشترطه في هذه السبيل من حصول ذوق أدبي وتمكن من الأدب تمكناً يخول هذه العلاحية .
- لتنجرد عن العلاقة صعب ، والتأثر بالماضي لا ينكر الا ان الفكرة الوقادة والذوق الأدبي يحكان في الأمر ، وهما عدة الأديب وسلاحه او هي قدرته وموهبته معاً .
- والنقد العلمي هنا لا عمل لا يراده بأكثر من أن نقول إنه تابع لقواعد آداب البحث والمناظرة ، واساليب ادارة الجدل فيها .
- ان دائرة الآداب توسعت ، وصار ينظر اليها بمنظار الأدب العالمي ، وهكذا ينظر الى الأدب العربي في عموميته كأدب عالمي بالنظر للآداب الشرقية ، فصار النطاق اعم ، وبالتعبير الأولى لوحظت مكانة ادبنا من آداب الأمم وطريق التوصل الى ما عندها وهل في الامكان تشميل ذلك على ما لدينا فسكننا نميل الى معرفة جديدة واطاقتها الى ما عندنا .

عباس المزراوي

وهكذا يقال في النقد ، وما حدث من تطور فيه ، وما لحق من آراء أو ظهر من تلاحق افكار ، وبنينا زاد التبع واخيفت مادة ، وروعى الأسلوب وهكذا ، ولا تزال آمالنا وانراضنا واهدافنا متجددة ... كل هذه تدعو لتكامل الأدب والنقد معاً من الوجهة التاريخية .

وإذا كانت مزاي كل شاعر تؤدي الى هذا التكامل فان مزاي آداب الأمم وسائل جديدة ، وطريق المعرفة والتميز الأدبي ... فلا وقوف ، ولا حدود لهذا الازدياد والتكامل وآمالنا تدعو الى الالتفات الى النواحي المتجددة والطرق الحديثة وسائر الوسائل ...

١ - في المهر الجاهلي

كان ولا يزال الشعر مقبول المكانة . وافر الحرمة نحس بالحاجة اليه ، ونميل الى ما تنفذ به منه ونلس الحكمة والأدب عن خلال سطرره فهو خطاب الروح ، ومناجاة النفوس . . . ونرى إبحارنا مقروناً دائماً بالحكم له أو عليه ، وبالتعبير الأولى اننا نقول هذا الشعر فائق وهذا لم يكن . وكلامنا هذا آني ، لم يكن مسبوقاً بتقدمات ، وانما هو تابع للشخص ورغبته فيه ، أو امرته منه في الحال دون اتخاذ نهج علمي ، أو مقياس أدبي يقدره الذوق ، ويقبله أو ينبو عنه ...

وأمر آخر أن الشعر كان قد ظهر الى الوجود في حالته الأولى ولم يحتفظ بها ، لما جرى عليه من نقد أدبي من نفس الأدباء فعدلوا فيه وبدلوا كثيراً ونرى الرجز ، وما شابهه من بقاياها فالشعر تطور كثيراً وابتعد تنوعت كما نستدل به من حالاته المشهودة فكان تطورده ناجماً من الاهتمام به وتوالي علو مكانته وهذا أيضاً نقد وانتقاء معاً . واستقراره وسموه انما كان باهمال سابقه فالتأثير في الأداء والأسلوب من جهة ، وفي التفوق في نفس الأسلوب

كان من الأخرى . وهل بقي ثابتاً بعد تلك التطورات.؟

أوضح هاتين الناحيتين ، فأقول :

جاءت أساليب الشعر مقصورة على (الرجز) وامثاله ، لجاء القصيد ، وزادت أبحر الشعر ... وتكامل نوعاً واستقر وكل هذه الأبحر زيادة في التنوع ولكن هذه بلغت من السكثرة حداً كبيراً ، فصار الانتخاب والانتقاء في الموضوع وسموه والحالتان لازمتا الشعر ، وصار يتنوق في كل منها المرء بمقتضى حالته النفسية ، وموضوعه الاجتماعي ، واستقرت الأساليب في الأبحر نوعاً ...

وكل هذه لم تختلف عن الاتصال بماهية الشعر ، واسلوبه والترجيح فيه مما هو من شأن الشعراء وتطورهم في الشعر وهكنا مضراً ولا يزالون جادين في توليد ضروب ، وتأكيده أوضاع ، وانظروا مواهب ...

وأمر آخر تابع لما استقر عليه الشعر أعني به الموضوع الذي تناوله الشعراء ، فأننا لا نذكر أن هناك شعراً يتفرق على غيره وإن كان البحر متنعفاً ، والأسلوب متقارباً إلا أن المزية في القوة والضعف ، والأداء والتعبير ، والمعنى المقصود ، ومزايا بقدرها السامع الناقد وبين هذا الشعر ما بلغ من الوفرة حسداً كبيراً ، فكيف الانتقاء ؟ وبأي وجه حصل ؟

هذا هو موضوع النقد ، بعد انتقاء الأوزان ، واستقرار الأساليب جاء عهد الاصطفاء فكان هناك اسمي ما نال الرغبة ، واكتسب المكانة بين الشعر الجاهلي ، وهي المعلقة ، وبعض المقاميل والتضاليد ... فتولدت فكرة لا ينكر أمرها ، وهي (الاختيار) الواقع ، وهذا نقد قطعاً ، وكان اجل مقاييسه ابلغ الأشعار المختارة وأكبرها أثراً في النفوس والمعلقات من انحر الشعر وأعظمه ، فاتخذت خير مقاييس ، ثم روعي ما هنالك من شعر مقارب لها في تفرقه ، فاعتبر مختاراً مثل ديوان الحماسة ...

ولا نهمل أمراً آخر وهو أن الشعر الجاهلي لم يكتف الأدباء في نقده من الوجوه المذكورة ، وإنما ادركوا لكل شاعر مزايا دعت الى تفرقه ، وأدت الى مقابلات بين هؤلاء المسلمين لهم بالقدرة الأدبية ، فكان الواحد يختلف في نهجه عن الآخر ، وزاد الاتصال بكل واحد أكثر من غيره ، وساق الى بيان مزاياه في أدبه ... فكانت وجهته جديدة ، وكان نقداً آخر لمزايا كل شاعر وادراك قيمته الأدبية ، ولا ندع ذلك جانباً دون توضيحه بأمثلة أدركها ادباؤنا ، فكانت كلمتهم الأولى والأخيرة بل صرنا تفكر فيها وما تلبمنا من مزايا ، وما تدعو من حالات ... فإذا كانت المزايا من نفس الأدباء في توجيه الأوزان وانتقائها واتخاذ ضروب فيها ، أو من نقاد الأدب في الاختيار والانتقاء فلا شك ان الوجهة الأخيرة من (النقد الأدبي) تقضي بتفاضل الموضوع في امر دون آخر فنقطع بمزايا كل شاعر بادراك ما عنده .

وهنا نستطيع ان نعد من مصادرنا المبهمة كتب (طبقات الشعراء) وهذه وافرة المادة واضحة في أوجه نقدها وفي دواوين الشعر الجاهلي وشروحها مادة غزيرة وأهم من كل هذا أوصاف الشعراء لا كبار ادبائنا مثل شعر فلان اذا غضب ، وفلان اذا رهب ، وفلان يجيد الغزل والتشبيب ، والآخر المهجاء ، وهكذا المناظرة ومن يجيدها ، وكلها نقد للآخرين الذين قصروا فيها ، وتظهر مزايا (النقد) بما نمت به كل شاعر من كلمات قد تعني عن كتاب يكتب ، أو مجموعة تدون . فهي اشبه بالأمثلة .

ونلي كل حال لم يطرق هذا الموضوع كثيراً ، ولم تظهر الأقلام مزاياه ، والاتجاه الصحيح فيه لا يتيسر إلا بعناء ، وان كتب النقد تغريباً للمباحث ... ولعل الأيام تكشف عن جهود اكابر علمائنا فتحقق لنا اشتغالاتهم لنتمكن من البناء عليها بما هو من متجددات العصر ... ومزايا الشعر الجاهلي بل المتفرق المقبول منه لا على سبيل الحصر ، وإنما نورد الأمثلة لتعلم ما فيها ، ويترك الباقي لمن احب الاستيعاب والاستقصاء . ومؤلفات العرب في

النقد الأدبي ومصادره

الموضوع كثيرة لا تكاد تحصى ، وربما جاءت رسالة أو كلام نابر فيرضع مزايا خفية عن الأنظار ، والاستيعاب صعب ... فنرى الأدب العربي غزير المادة والتدوينات عنه كثيرة واملنا حسن التوجيه .

إننا نرى القصيدة يلقبها الشاعر على الجماهير ، فنرى المحبين لها كثيرين وربما تتفق الكلمة على الاستحسان ، وهذا لا يكفي حتى نعلم طريق التوصل الى الحكم والبحث العلمي لا يقف عند اتفاق الكلمة ، ولذا نرى بعض الأدباء يتناولون هذه القصيدة بالنقد الأدبي ، ويبينون مزاياها ، وما اعترأها من خلل أو ما فيها من نقص . واختلاف الاتجاه بين الماضي في النقد وبين الحاضر قد أبعد الشقة ، وزيد أن نحقق مقررات الأدباء قديماً في ذلك الشعر ثم نتناول امر هذه المزايا وانها تابعة للذوق ، أو التحقيق العلمي والأدبي ، فتكون لنا فكرة في هذا النقد فنعلم منه (تاريخ تطور النقد الأدبي) في مختلف الأزمان ومن ثم نستخلص من هذا النقد ما يصلح ان يكون داخلياً في النقد العام فننتقل الى ما نحتاج الى تقريره ، فيتكون لنا مجموع في مزايا النقد الأدبي والنتائج محلها وأثرها .

ولا شك ان موضوع النقد الأدبي يتناول شاعراً بخصوصه ، وذكر مزاياه الأدبية ، وما نلاحظ من نقص فيه ، ثم نأخذ الآخر فنمحص عنه ، وهكذا بالتوالي ، فيسهل ان نترع مطالب في النقد للأدب العام ما يحقق من اماني ، نود أن تكون أمام عين الناظر ، وان يتجنب ما يداخله الشك والريب ، وفي هذا انتقاء مستمر .

والأمر لا يأتي اعتباطاً ، او ارتجالياً ، وانما يكون مبتدئاً على اساس علمي بل تاريخي يحقق ما وقع ، ويلهم اوضاعاً علمية ، واصلاحاً ادبياً ... وبهذا يصبح ان نفرق في الحالات التي ندركها وهكذا ... فلنفاخرات والتهاجي بين العشائر مما يصلح مصدراً ايضاً ، وهذه المقابلات الفكرية تخص الأغراض التي يستهدفها كل شاعر ونده ... وفي هذه نوع ادب دقيق ورفيق . ومثله الغزل والتشبيب ويتوجه النقد فيه على وصف ما لم يره الشاعر

وأما النثر فلا يختلف عن وجوه النظم وما فيه من أوصاف وموضوعات (مصادر النثر) وهذه تدعو الحاجة للنظر فيها وتناول :

١ - الأمثال : وهي من أقدم النثر الأدبي وأحكمة اتقاناً ، ولا تشوبه شائبة ... والمثل خلاصة قصة ، واعتنى العلماء بالأمثال فدوتوا كتباً نفيسة منها :

(١) أمثال العرب : للمفضل الضبي المتوفى سنة ١٧٠ هـ - ٧٨٦ م . طبع في الجواثب في استنبول سنة ١٣٠٠ هـ .

(٢) جمهرة الأمثال : للإمام أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري المتوفى سنة ٢٩٥ هـ - ١٠٠٤ م طبع على الحجر في بعباي سنة ١٣٠٩ هـ وعلى هامش أمثال الميداني المطبوعة في مصر سنة ١٣١٠ هـ .

(٣) مجمع الأمثال : لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني المتوفى سنة ٥١٨ هـ - ١١٢٤ م ، طبع عدة مرات منه نسخ عديدة في خزانة الأوقاف العامة في بغداد^(١) . وكل هذه انتقاء للمستحسن من الأمثال وقد معاً .

٢ - الخطب : وهذه قصيرة في الغالب ومحاكاة الصنعة مثل خطبة قس بن ساعدة الأيادي وخطباء كثيرين غيره والنفوس تتطلع إلى أجمل التعبير وأحسن الأساليب مع قوة في المعنى ، ومتانة في اللفظ في محل ورقية في آخر تبعاً للموضوع وللدوق في الخطاب أو الإيجاز ولذا نرى خير معبر عن مناهج خطبهم قول القائل :

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء
ومثل كلمات وفود العرب على كسرى . وأما سجع الكهان فإنه يدخل خطبهم وهو منتقد لكما كتبه وزال من البين وكان مضرب المثل (سجع الكهان) ويعمد من

(١) الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف تأليف الدكتور محمد سعد طاهر . مطبعة المعارف .

بغداد سنة ١٩٥٢ م بر ١٦٩ .

النقد الأدبي ومصادره

أوائل ما توجه على النشر من نقد ومن الكهان المعروفين شق وسليح .

٣ - الرسائل : لا تختلف عن الخطب كثيراً ومن أهم أوصافها الإيجاز والاحكام ببساطة : وهي ظاهرة من ظواهر حالة الأمة ويجلوها النقد سواء في صفتها أو إشتباكها في الحضارة .

والآثار الأدبية ومخلفات الثقافة بين أيدينا تصلح أن تكون أصلاً للنقد ، والآراء القديمة في النقد تعين علاقتنا بها ، ونستأنس بموضوعها وربما كان البناء عليها وهذه قلة أن تراها مجموعة كما نرغب ، أو كما نريد وإنما نلتصقها في مطالب متفرقة ، نرى الكلمة ، فنرى فيها الكفاية لتوضح عن شاعر أو أديب ، ونشاهد القول فنستخذيه وسيلة للبحث والبناء .

وكان العرب في سالف عهدهم لا يلتفتون الى البيان إلا من ناحية الموضوع أو من ناحية السبك أو نقد الرأي ، وتوجيه الفكرة ، وهذه من أجل ما عندهم من التقدير واعون بحق مقتضى الحال ، ولكن لا يجدون ذلك في كل قول ، وإنما رأوه في المختار ، وشاهدوه في المنتقى من الأشعار ، والخطب ، وسائر ضروب البيان : وهذا خير مقياس يعين مزاي الكلام ، وهو انتقاء ، أو نقد في الواقع وإبراز لما هو الصغرة ورعاية للمقبول المرضي وتاريخ النقد متفرع عن التاريخ الأدبي ومتصل به اتصالاً وثيقاً .

٢ - في العهد الإسلامي

إن آداب الأمم ترجع في الحقيقة الى كتاب ادبي ينتشلها من هديتها ، ويؤسس لها ادبها فتجري على منواله ، والعهد الأدبية للأمم ترجع في ذلك الى مثل هذه المؤلفات ، والكتاب العزيز (القرآن الكريم) نسيج بالأدب ، بل سار به سيرة عظيمة ، وبلغ بالأمة ادباً رفيعاً يصعب تقدير مداد ، أو الوصول الى منتهى غايته .

والأمة رعت هذا الكتاب العزيز رعاية لم ينلها كتاب ديني ولا ادبي ، حفظته ،

ودرسته وتعلمته ... وهو في كل ذلك دروس أدب، ومعرفة، وحكمة بل لم تقف عند حدوده، وانما رعت ما يدعو لتكوين المعرفة به، والوصول الى أغراضه، فنظمت الأدب من طريقه العلمي لغاية هذه المعرفة، وأمل الاتصال بمعانيه، والاخذ بأحكامه.

ذلك ما دعا ان تميل الأمة الى تدوين الأدب، وفتح الطريق للمعرفة الأدبية، فجمعت مجموعات أدبية في ضروب متنوعة، وصنوف مختلفة، سار كل منها في توسيع ناحية الأدب الجاهلي وهكذا كان ما كان من آثار خالدة، ومدونات جليظة الأثر. ظهرت في الدواوين الجاهلية، وفي الشعر الجاهلي، وفي الأدب الأموي من مناضرم وغيره وان كثرت أدت الى حاجة التنظيم، ودعت الى أمر الترتيب والاستغناء بما لا تسدع الضرورة، ضرورة المعرفة اليه.

فظهور الاسلام أحدث اختلاطاً عاماً بين العرب، وجعل اساس لغته القرآن الكريم لا كثرة الناطقين باحدى لهجاته، فوحّد الأدب واتّسج به نهجاً مرضياً وان الآداب لما سبق عصره عهد (اسواق العرب) وبعض بقايا الماضي القريب من عهد الأسواق واصحاب الملقات ...

وهذه تكلمنا عليها ببيان مكانة الأدب العربي والعراقي منه حتى ظهور الاسلام ومن ثم لزمتنا معرفة ما أحدثه الاسلام من تجديد في الأدب، وشمول فيه وتدوين وتكامل في المادة باضافة مادة جديدة للتقديم منها، وهكذا حتى خلّدت الأمة العربية في العراق أدباً لا نظير له في آداب الأقطار، وصار قسوة المعسور وقذوة الأمم العربية الاسلامية، وبنيت على نهجه وخطه آداب الأعوام التي دانت بالاسلام.

صار لسان الأدب، ولسان العلم، والتعبير عن الفن، وسأر ما هنالك من ثقافة فلا تنكر مكانته في تهذيب الأدب العربي القديم، والتطور الجديد الذي ناله ... وعاد ثروة لا تملكها أمة من جرائ أنه لم تنقطع الصلة بأدبه القديم، ولا تأخر عن الأخذ بالجديد

النقد الأدبي ومصادره

المجدير بالأخذ ، فقال الحسين ، واكتسب الاثنان وحق له أن يفخر بتلك الثروة ، ثروة الآباء والأجداد ، وان يفخر به الأدب العربي باعتباره حفيظاً أميناً عليه ، جاء الكتاب الكريم نبراساً مضيئاً ولا يزال أثره وتأثيره مؤيناً هذا الأدب مؤكداً له في ثره وبلاغته وأسلوبه الذي امتاز به ، بل أحدث تجديداً لم يكن مألوف العرب الأولين في شعرهم ، وجاءت الآية أنه أي القرآن الكريم (بلسان عربي مبين) لم يختلف في أدبه وان تعالى في أسلوبه فكان اتقانه أكثر وتزايد بصورة أجل بحيث عد غير مقبول ممن وصفه تعالى بقوله (وهو في الخطاب غير مبين) وجاءت أقوال الرسول (ص) في أحاديثه الشريفة وأقوال الحكيمه وبيانه الجليل في مثل قوله (إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة) ، وأقوال الخلفاء الراشدين وكلماتهم المأثورة وخطبهم النفيسة التي تداولتها الألسنة وظهر الشعر سائراً في طريقه وان اختلفت في بعض مطالبه ، فلم يتغير في شكله ولونه وكان الاسلام جاء مقراً له ، مرضياً موضعه ، مؤكداً أسلوبه من وجوه كثيرة وان علا عنه عما جرى معمولاً على البساطة والصدق في المهجة والاحكام في الأداء .

ولم يقف الأدب عند حدود ذلك ، بل زاد سلاسة ورقة ، وانما تناقل العرب الأدب الجاهلي وأضيف الى الأدب الاسلامي ، وكذا ما تجدد في أيام الدولة الأموية ، وأن الطابع الأدبي لم يتغير كثيراً والسياسة خدمت البيان من وجه ، فكان في أسلوبه ومجراه لم يختلف عن أدواره السابقة إلا في الرقة والاتقان .

حفظ أدبه المعاصر ودونه من وجوهه المنوعة ولم يفلت منه إلا القليل ، بل حرص القوم كل الحرص على أدبه الفائق ، وتناقله الناس بهالك ، وجمعت بعض الخطب والأقوال الحكيمه والأمثال كما في العهود السابقة فأضيفت الى هذ الثروة ، فزاد الثم ، وما زال في هذا التزايد حتى بلغ الثروة ، ونال مقاماً عظيماً .

والناس في رغبة اكيدة للمعرفة ، واتصال باللغة العربية ، تناوله العرب كما تناوله

آخرون بأمل المعرفة ورغبة الانتفاع وربما كانت هذه هي الغالبة وهي الأولى لما لها من التعلق بسبب من هذه اللغة للاتصال بالأمة العربية والتعرف لها من طريق الأدب العربي ، والأخذ به من أكابر رجاله .

ولم ينتقض هذا العهد سنة ١٢٢ هـ إلا وهو طافح بالحروب الخارجية والمعاركات للفتح ، والحروب الداخلية والفتن وكل هذه لم تمنع من التوغل في الأدب ولا منعت من سيره أو أخرت نموه . بل زاد الأمل في بلوغ الغاية الكبيرة منه .

وكان يلخص الأدب العربي في الأدب الجاهلي ، وأدب القرآني والخلفاء الراشدين والأدب الأموي ، والقصد من هذا نموه في أيام هؤلاء ، ودوامه وتكامله فلم يفلت عهداً قديماً يقدمه ، ولا ترك أدباً جديداً معاصراً إلا أخذ به وإنما كان على نهج لم يسبق له مثيل في تاريخ الأمة الأدبي ولا ريب أن (الكتاب الكريم) وجه هذا الأدب ، فصار العرب يلتصقون معاني الكتاب من الأدب الجاهلي حقيقته . وصار يشتد الأدب المعاصر لادراكه عصره وتوالي في سيره .

تكونت الثروة من جراء هذه العناية إلا أنها متناقضة ، وحصل حفاظ كثيرون لهذا التراث ، حراس له من أن يناله اغتيال ، ودونته مجاميع ... وصار ثروة الأمة لمختلف عصورها ، وزادت العناية في العصور التالية ، ولم يتغير وضعه في هذا الأدب ، بل صار في تكامل أكبر وأجل . ولا شك أن هذا الأدب تبدأ العناية به منذ بدأ الإسلام ، فلم يهمل أمره ، بل توالى باستمرار وإن علماءنا ادبائه وعفاء الأدب في الوقت نفسه .

وفي هذا العهد تغير النقد كثيراً وكان ظهور الإسلام أعظم حدث في توجيه الأدب والفن الأنظار إلى نواح جديدة من نقده فكتسب رقة ونال تفرقاً على ما تقدمه من الآداب الجاهلية .

وكان (القرآن الكريم) خير أمر مرشد ومهذب في هذه الآداب وتمكنا في

النقد الأدبي ومصادره

الاسلوب وأن اللغة نالت أجلى مكانة ، وكذا كان (الحديث الشريف) قدوة المتأدبين سواء في خطبه (ع) أو في أقواله الشريفة كل هذه ينطوي تحتها نقد عملي عظيم في الانتقاء للألفاظ والاختيار للأساليب المقبولة زيادة على ما مرّ القول فيه في العهد الجاهلي وما جرى على الشعر والنثر من نقد وهو في الحقيقة وقد أرقى الأساليب الممتازة وهو نقد فعلي ماثل أمام عين الأديب ويتجلى في المناضلات العشائرية والأوضاع السياسية والمناقرات بين الشعراء سواء كان بين المسلمين واعدائهم أو في الوفود على الرسول (ص) وتظهر في قصيدة كعب بن زهير وامثاله مما هدمه الاسلام من نثر ووتر الى غير ذلك من أدب جم نقضى الاسلام على المعصيات الجاهلية .

وعلى كل حال أن النقد الجاهلي وما جرى عليه من تطور قد قبله المسلمون وزاد القرآن في تهذيبه وجاء العهد الأموي مؤيداً ومؤكداً .

٣ - العهد العباسي

إن تاريخ الأدب العربي واسع الأطراف غزير المادة خدمته العرب والمسلمون جمعاء ودنوا آثاراً كثيرة فيه ، ولا تزال آثاره مطبورة وتحتاج دائماً الى ائارة سواء في شعره أو في نثره ، فالشعر العربي ديوان العرب ، ومدار نخرهم ، ومقارعات أدبهم وتفاضل عقولهم ينطوي على ثقافتهم ، أو هو أدبهم العام الشامل ، مادته غزيرة تولى العرب ضروبه ، ورعوا شؤونته ، فقاموا بعلمته وتعنوا به العناية كلها ، وأملهم أكبر ، وحالهم أجلى ، ووضعهم أرقى الأوضاع يحاولون أن يأتوا كل يوم بشيء جديد وربما يعجز المرء من ابداء كل ما عنده في الشعر العربي أو يدرك جميع قيعته ، ودرجة الاهتمام به .

يتمايز الرجال بمقدار اتقانه ، ويتفاوتون في الرتبة بما ينطقون به من حكمة ، أو كلمة

سائرة ، أو وصف بديع ، أو أمر عزيز و « ربّ قول أنفذ من صول » والكلمة الواحدة تحاد الذكر ، أو نضع ، فهو عندهم وعاء الحكمة ، والمثل السائر ، والأدب الجم ، والصنعة من وجوهها المنوعة ، وطرقها العديدة .

لم يقفوا عند استظهاره ، أو عظيمة روايته وإيراده ، وإنما نعتوا رجاله بما يستحقون من أوصاف أو اعطوهم حقهم من المنزلة وبيان قيمة الشعر الذي قالوا ، وبه صاروا يتفاضلون ، أو أنهم جعلوا الشاعر بالرتبة التي وصل إليها ، والمكانة التي نالها ... أو سما إليها في معارج البيان .

كتب كثيرون في هؤلاء الشعراء ، وعينوا قيمتهم ، وكانت الاتجاهات في ذلك كثيرة ، ففاضلوا بين الشعراء ، وأوضحوا المزايا ، ورعوا أمرها من وجوه تلك المقاضلات (وجوه الصنعة) ومن المهم أننا لا نميل إلى ما قالوا في كل شاردة وواردة وإنما كانت الأوضاع تدعو لتناقل الكلمات الخالدة الناشئة عن حقيقة الحالة ، الجديرة بالأخذ ، اللانقطة بالتخليد ، الداعية إلى الائتمات ... أو أن علمنا وأدبنا تناقلوا ما هنالك ، ودونوا عن الأكاير الأفاضل . ذلك مادعا أن يعرفوا شعراءهم بما قيل فيهم ، أو ذكر من نهج في أدبهم في كلمات خالدة ودرر ناصعة ناشئة عن حكمة وأدب .

وفي هذه الحالة لم تكن حاجتنا أن نسمع إلى (أقوال الغربيين) ، أو (كلمات الأجانب) في هؤلاء الأدباء ، وإن كنا لا نستغني ، وإنما نحب أن نسمع كل ما جاءنا إلا أن الجدير بالمكانة أن نسأل أرباب المعرفة منا ، وتدوت عن نفس الأدباء في الشعر ، أو بالتعبير الأولى حاجتنا أن ننظم ما عندنا ، ونسق ما قيل في شعرائنا لتظهر لنا الحالة من طريقها ، وتنجلي من ناحيتها .

والأدب العربي يقسده أهل الأدب منا بأن يوضحوا حالته ويبدوا كلامهم فيه ، أو أننا ندوت ما قالوا ، فهم أرباب الأدب ، وحكام الكلام ، وأحق بالمعرفة

النقد الأدبي ومصادره

والايضاح ، ورجال البيان اولى ان يسألوا عما علموا ، وعن الصواب فيما اوردوا ، وما قدروا في السرد ولا يهتأ غيرهم الا في الدرجة الأخرى ، او الرتبة التالية ، والمنزلة المتأخرة .

والعراق لم تهبط الحركة الأدبية فيه وانما خلف ثروة غزيرة لا ينضب معينها ، وترك مخلفات تعدد ذرة في جبين العصور ، كانت غذاء الأقطار العربية وغيرها ، وليس فيها المعاد المكرر ، والتجديد فيها والاجادة في موضوعها من اجل خصائص الأدب المقبول تجلي ذلك في شعر شعراء أكابر ، في دواوين ومختارات تمدد من خير الإلهام لأدبنا التالي والحاضر ، والاستقاء من هذا المعين والاتصال به مما يدعم الموهبة الفاتحة في انكشافها ، وتمحركها مباهج القطر ومناظره الخلابه وأوضاعه المشيرة للنشاط والتهييج أو الوحي الأدبي ، فيساعد على إبداء الأدب الفص ، وللأدب الماضي من التوجيه والبواعث والانتعاش ما يهبر ويمدد الأدب بالغذاء ، فيظهر بحجة بديعة ولون رائع .

ومثل هذا لا يقف عند حدود معينة ، ولا حالات ثابتة ليبدو بأبهى ما يتحلى فيه ، واذا رجعنا الى الثروة الأدبية في النقد ، فاعلمنا نسكون قد استكملنا العمدة ، ونسلحنا بأقوى سلاح وما ذلك الا لأن الأدب العربي زاخر في مادته فاقص في موضوعه .

ولاشك أن (النقد الأدبي) عندنا في مختلف عصوره يدل على عقلية جبارة ، وفكر قويم وقدره ، كما لا تهمل قيمة التوجيه الأدبي واتصاله بالموضوع اتصالاً عظيماً فهو من أجل ما يغذي الأديب وفي هذا كله آثار ادبية وتاريخ أدبي وتاريخ نقد .

والمؤلفات وتاريخ تطورها ، يدلان على ظواهر لا تراها في تاريخ أدبي لأمة من الأمم ، أو قوم من الأقوام في تاريخ حركتها الفكرية بل إن العرب في (تاريخ الحركة الأدبية) كان نشاطهم جليلاً ، وعملهم فائزاً ، وتدويناتهم كبيرة ، كانوا أسبق الأمم في فصل الآداب عن العلوم ، كان ذلك في وقت مبكر جداً في حياة الأمة الثقافية ، ولم تنتبه اليه الأمم

الأخرى إلا بعد تمكنها من الثقافة ورسوخها فيها ولما كانت هذه صفحات لا تخلو من فائدة في التبصير بقيمة الأدب معرفة بقيمة النقد الأدبي وتاريخه عندنا مقتبس من آثار أدبية حمة كان يوجه فيها النقد ، أقدمها إلى القراء الأفاضل ، ولم استوعب مطالعها ، وإنما اذكر ذلك توجيهاً للراغب وتدريباً للأخذ بما هنالك بسعة وافرة .

ومن بين هذه المؤلفات الخالدة :

١ - كتب الأدب :

وهذه بوجه عام تناولت ما قيل في هؤلاء الأدباء ، وتعيين صنفيهم ، وتوضيح أمرهم مثل كتاب الصناعيتين لأبي هلال العسكري وكتاب العمدة لابن رشيق إلا أننا نراها غير جامعة ولا مرتبة سوى أنها تنقل بعض الأقوال ، وتقرر بعض المعروف من الحالات وهي مفيدة ، نافعة كثيراً إلا أن ذلك غير مستوفي وإنما هنالك كلمات خالدة تستحق الذكر .

٢ - طبقات الشعراء :

وهذه أبدت عن كل شاعر ما عرف عنه ، وغالب هذه تحقق أوضاع الشاعر كلها ولا تخلو من بيان المزايا إلا أنها لم تتأهب لوضع خاص بالشعر وتدوين مزاياه في النقد بعرضها عرضاً خاصاً ، ومع كل هذا تدعو للالتفات فهي كبيرة الأثر ، جليلة المعرفة وافرة القيمة ، جامعة المزايا .

ولا تنكر درجة هذه ، ولا تهمل ، فلها أكبر مكانة وربما اغنت عن غيرها ومثل هذه تتفاوت في البيان ، وتختلف في القيمة ، وتدعو للاستفادة والافادة ، وفيها الأدب الجم والمازاهي العظيمة الأثر في الاتجاج الأدبي .

تناولت بيان أوصاف الشعراء ، وعرض شعره ، وفي الأولى توجيه ، وفي الأخرى ملامسة المادة ، والاتصال بالأديب بإظهار العلاقة بشعره ، وبيان أدبه ، وربما كانت هذه الآثار نتائج الأدب وصفوه الخالصة ودره النفيد ...

النقد الأدبي ومصادره

٣ - مصادر النقد الأدبي في الشعر :

وهذه الغاية المقصودة ، والأدب المطلوب والمادة الغزيرة من أديب كامل ببيان مزايها كل شاعر ، أو هي مفاضلة مستمرة ، ونظرة صادقة ، ومزية لا يستهان بها ، ولا يهمل شأنها بل لا يترك أمرها وربما كان الترك معيباً والإهمال منزياً من جراء أن ذلك صادر من أهله ، ناجم من طريقه ... أو أن الضرورة تدعو إلى العناية الزائدة والالتفات الكبير .

جاءتنا خلاصة النقد ، ويُدو إدراك المزايا ، وهي المفاضلة من وجوهها لا أدم لوأحد وإنما هناك طريق كل شاعر ، ونهج كل أديب بذكر ما امتاز به أو عرف عنه ينطقون بمزايهم ، ويعرفون بمواهبهم ، ولكن من هو صاحب القول المسموع ، ذو الكلمة الصادقة الخالدة ، إذ يتمر ذلك على غيرهم .

بيدي الآن (جلة كتب) في النقد الأدبي تعين المزايا ، وتحقيق الأغراض الخاصة في النقد ، وتدعو إلى الاهتمام وليس مقصودنا الجمع والاحاطة وإنما يهنا أن نتناول ترتيب الظهور ، ومراعاة التاريخ ، أو تطور الموضوع والتعبير الأولى نبين (تاريخ النقد) بما ظهر من آثار في العهد العباسي .

ولعل التوغل يضيع الهدف . وإنما أقول (كتب النقد الأدبي) في الشعر منها ما وصل إلينا من طريق الطباعة وجاء مبثراً أو خاصاً بشاعر ، والاحاطة بما قيل فيه أو ظهر من مزايا . وهذه كثيرة في الموازنات بين شاعر وشاعر مثل (الوساطة بين المتلبي وخصومه للجرجاني) والموازنة بين أبي تمام والبحثري للآمدي والمهم الاطلاع على الشعراء في بيان مزايا كل شاعر . ومن أشهرها :

(١) رسالة أبي حاتم السجستاني :

حاولت مؤلفات عديدة القيام بهذه المهمة ، والتصريح بهذه الحقيقة ورعاية ما هنالك

فكانت مدوناتهم وافرة المادة عظيمة الأثر جليلة القدر ... منها رسالة أبي حاتم السجستاني البصري المتوفى سنة ٢٢٥ هـ - ٨٦٩ م وكان يعد من أكابر رجال العلم ، وله المكانة الفاضلة في الأدب سأل ابن دريد عن خمسة وعشرين أديباً شاعراً من الشعراء الجيدين من المحدثين فأجابته بكلمات خالدة تستحق الالتفات وربما كانت من أوائل ما دوت في الموضوع ومن أجله .

وكان الأدباء قد أوسعوا شعر الجاهلية بحثاً ، وقربوه من افهام الراغبين ، وأوضحوا عنه الإيضاح كله وهنالك النقد ، وله وجوهه المعروفة وطرقه فأجبه السؤال إلى المعرفة الجديدة في المحدثين ، فكان الجواب محكماً وافر المادة على قلته وهو غني بالمعرفة على إيجاز في نظره .

وهذه النبعة عثرت عليها في مجموعة نفيسة عندي بخط المرحوم الاستاذ مصطفى وفي آل جميل مؤرخة في ٢٠ شعبان سنة ١٢٧٧ هـ وهي في اللغة والأدب منقولة من (أمالي ابن دريد) خللت صفحة ربما كانت من أقدم ما خلفه في شعر المحدثين من صفحات ، ولعل المرء يترقب ما أجاب به أبو حاتم عن كل شاعر .

ولا اكرر السؤال والجواب ، أو قال وقلت . وإنما اذكر كل شاعر وما قيل فيه رأساً ليكون أوفر في المعرفة واننا في حاجة اليوم إلى ذلك التعريف ، وبيان مزاي كل شاعر من شعرائنا وهذا ذكر الشعراء وما عنهم به .

١ - أبو نواس : إن جد أحسن وإن هزل أطرف ، وإن وصف بالغ . يلقى الكلام على عواهنه ولا يبالي من حيث أخذه .

٢ - بشار : نظار غواص . مطيل مجيد يصف ما لم ير وكأنه قد رآه على أن في شعره خلاً كثيراً .

٣ - مروان : شاعر راض عن نفسه يستحسن كل ما جاء منه . معجب لا يرى أن أحداً يتقدمه ، كثير الصواب ، كثير الخطأ ، ليس شعره صنعة .

التقد الأدبي ومصادره

- ٤ - مسلم : خليج صاف يزرع من بحر كدر كالزندتوري تارة وتصاد أخرى .
- ٥ - أبو العتاهية : غشاء جم ، واقتدار سهل ، وشعر كخرز الزجاج ، وربما أشبه
الياقوت والبرجد .
- ٦ - ابن الأحنف : يلقى دلوه في الدلاء فيفترف الصفر أحياناً والحماة أحياناً على أن
كدره أكثر من صفوه .
- ٧ - سلم الخاسر : مقل مداح ، شعره ديباج وعين ، يموه الردي حتى يشبهه بالجيد .
- ٨ - العتابي : عالم بأشعار العرب ، يحتذ على مثاهم أحياناً وربما مال إلى تعقد الكلام
على أنه ينال مرامه من كلتا الجهتين .
- ٩ - الجرمي : صنعتة سهلة ، لا يكابر طبعه ولا يكدر فكره ، يسوق ما اتقاد
له عفواً .
- ١٠ - أشجع : يعذب ويعنى ، ويحسن ويسى . فصوله مختلفة إن شئت قلت مطبوع
وإن شئت قلت متكاف .
- ١١ - أبو الشيص : جند كله فيه حلاوة وإشاعة كالسندرة التي نفضت قفيها
المستعذب والمستبشع .
- ١٢ - علي بن جبلة : بجات عن الكلام الفصيح والمعنى الرائع لا ينال مرتبة القدماء ،
ولا يحل منزلة النظراء .
- ١٣ - دعبل : شديد الأسر ، محكم الصنعة قليل الطلاوة ، متحش الهجاء غير
مقنع المدح .
- ١٤ - أبو تمام : سيل كثير الغشاء ، غزير الغهار ، جم النطاف فإذا صفا فهو الزلال
بالسلاف .
- ١٥ - الحارثي : طريف مقل ، منحل الألفاظ متعقد المعاني .

- ١٦ — أبو سعيد قوصرة : ورق ناضر وعود خوار ، ان حفظ لم ينفع وان ضيع لم يضر .
- ١٧ — ابن بشير : عذب الكلام سببه اذا اراد الشيء قدر عليه ، وان اشتدت كلفته في مرآه .
- ١٨ — ابن أبي عبيدة : أعجبه اقتداره فتجبره اوز مقداره على أنه اذا نقر أفلق واذا كوى انضج .
- ١٩ — عبد الصمد بن المعدل : خراج ولأج يتعسف تارة ، ويهتدي اخرى ، ان سلك سبل العرب الأول ارب وان مال الى طريق المولدين شاكه .
- ٢٠ — علي بن الجهم : كلام رصين ومساك وعر عقفه غلب شمرد من طبعه .
- ٢١ — بكر بن الطاح : تشبه بالأعراب فأفرط ، وتجاوز حد المولدين فانتهب ، فهو الساقط بين الفريقين .
- ٢٢ — خالد بن النجار : سبي الكلام ، رخوا النظام ان طال بلد وان قصر اجتهد .
- ٢٣ — أبو دلالة : جد وهزل ، ومجتني مرغوب عنه اذا قص يد مرأماً تناوله غثاً وسميناً .
- ٢٤ — أبو الشمقمق : هجاؤه لذاع ، ومديحه بلا ماء ، أكثره لانفع فيه .
- ٢٥ — فلان : كلام مؤلف ، تلمظته اسماح الجهال ، وتلفظته آذان العلماء .
- قال ابن دريد :
- « وذهب عني أن أسأله عن الأعز من المطبوعين : السيد ، والتميري » قال الناقل : قد وقع لي وصفها في حكائيتين (وهما رأينا تعقيب ارقام البحث والاستمرار فيه على الطريقة المارة) .
- ٢٦ — فاما التميري :
- فذكر ابراهيم الموسلي قال : حضرت الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك وعنده منصور

الخميري ومسلم بن الوليد ينشدانه فالتفت اليّ وقال : يا أبا اسحق احكم أيهما اشعر فقلت إنه قلّ من حكم بين شاعرين فسلم منهما ، ولكن إن أحب الأمير تكلفت وصف شعرهما فقال صفه فقلت : أما الخميري فإن شعره حسن المبني ، قريب المعنى ، سهل كلامه ، صعب مرأه سليم المتون ، كثير العيون .

وأما مسلم فإنه خرج كلام البدويين بكلام الحضريين فضمنه المعاني اللطيفة ، وكساه الألفاظ الظريفة ، فله جزالة البدويين ورقة الحضريين .

فقال الفضل : وصفت والله فأحسنت ، وأوتيت الحكم حكمت . الخميري أشعرهما .

٢٧ — وأما الحكاية الأخرى . (في السيد الحميري) :

فلجأ حظ في فصل من فصولي كتبه . ذكر فيها :

(السيد الحميري) و (أبان بن عبد الحميد) ، و (أبا العتاهية) و (بشار) ، و (أبا

نواس) فقال :

أما السيد الحميري فأطبع الناس على قول الشعر وأقلهم صنعة وإمدحهم من التكليف ، واجدر أن ينقل جميع احاديث الناس شعراً سهلاً بلا تعقيد ولا استكراه .

وأما أبان بن عبد الحميد فلم يكن في زمانه أطبع ولا أسلس كلاماً ولا أسهل

مخرج وكان يقول على الثاء والمدال والعين والطاء مائة قصيدة .

وأما أبو العتاهية فأحد المطبوعين ومن كاد كلامه يكون شعراً على أن غزله ضعيف

مشاكه لطبع النساء .

وأما بشار بن برد وأبو نواس فمعناهما واحد والعدة اثنان بشار حلّ من الطبع بحيث

يصل شعره إلى القلب بلا إذن .

وحدث أبو الحسن أحمد بن سعيد قال حدثني أبو القاسم التنوخي الحاكم بصكور

الأهواز والبصرة قال : لقيت أبا العوث ابن البحري في ناحية الجزيرة لجارته حديث أبيه

عباس المزاي

وأخبرني أنه سأل أباه لما حضرته الوفاة فقال يا أبة : من أشعر الناس قال : أعن المتقدمين
تسأل أم عن المحدثين . فقال : عن المحدثين . فقال : يا بني لو قسم إحسان أبي نواس على
جميع الناس لوسعهم وأن لأشجع السلمي لإحساناً وما علم الشعر أكل الخبز بالشعر إلا
أبو تمام فقلت له : أنت أشعر أو أبو تمام ؟ قال : سألت عما لا يزال يسأل عنه جيد أبي
تمام خير من جيد رديي ورتدي خير من رديته « اهـ .

وهذا وصف الشعراء ، ونقد لهم ، وبيان للجبهات المقبولة أو المدخولة وفي ذلك توجيه
لمكانة الشعر المقبول ، والمراد الجيد والردي منه ، وإن يتوقى المرء منه من وجوهه
المذكورة .

نقل ابن دريد ذلك عن أبي حاتم السجستاني ، واضيف إليه بعض الكتابات في شعر
الغيري ، وشعر السيد الحميري وما يتصل بها أو العلاقة بينها وبين آخرين فتعينت العلاقة
وتوضحت الحالة فكان لهذا البيان قيمته ولتلك الإفادة مكانتها المهمة النافعة .

ولعل في ذكر هؤلاء ما يبسط بالوضع ويسعو للالتفات إلى ما عندهم من شعر وجاءت
هذه الأوصاف تراجم جامعة في الشعر والشعراء بل خير أوصاف لأوثك العظماء . والعرب
لم يعملوا أمر الشعر قديمه وحديثه وتداولوا ما قيل فيهم ونقلوا ما نقلوا عنهم إلا أن
الصنعة بادية في المتأخر وفاق فيها كثيرون وربما كسبوا سجية ثانية مسترشدين بمن
سبق ، فلا يحمل الأول تقدمه أو يترك المتأخر لما تطبع عليه .

وهنا يتجلى (النقد الأدبي) بأبرز حالاته .

جاءت هذه الرسالة من خير ما كتب بنظرة سريعة توفر للأديب وتقرب ما أراد
وتدعو للالتفات من الوجود المقبولة ، والأوضاع المعروفة والحالات المشهودة ، فهي خير
وثيقة بل من أجل الوثائق في موضوعها . جاءت رسائل أخرى بعدها ، وإن كانت أوفر
وأغزر مادة إلا أنها بلا ريب تعد من أقدم ما كتب في النقد الأدبي للمعاصرين ، بل تعد

النقد الأدبي ومصادره

كأنها صفحة رسام ثابتة لا تمحو جديتها الأيام ، بل كلما مضى عليها الزمن ظهرت مكانتها أكبر .

(٢) البيان والتبيين :

النقد الأدبي قديم في اللغة العربية وفي آدابها ، ويرجع الى العهود الجاهلية ويتوالى ، وما المعلقات واختيارها من بين القصائد ، إلا في أنها فاقت القصائد الأخرى من الشعر الجاهلي ، وحوليات زهير ضرب بها المثل في الانتقاء الزائد ، والعناية الكبيرة في عرض الشعر حتى كأن يُنفذ ، أو أن لا ينال الغرض ، والكثير من الشعر الجيد تداولته الألسن ودام على مر الزمن .

ومثل ذلك النثر ومنه ما سار مثلاً ، أو كان كلمة حكيمة لا تبلي جديتها الأيام مدى العصور ، وما ذلك إلا لموافقته لمقتضى الحال بأكمل وجه ، فشاع المختار ، وخذل حواد . والعقل السليم ، والذوق الرقيق لها الحكم الصادق في تقدير قيمة الأدب وموافقته لمقتضى الحال .

وهذا من حق من زاول الأدب ، وتوغل فيه بالممارسة مع سلامة الذوق للوصول الى صفة الحكم بنفوذ نظر ، وموهبة صالحة . وهذا يوضحه قول الجاحظ : « طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يعرف إلا غريبه ، فرجعت الى الأنخس فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فعظمت على أبي عبيدة فرأيت أنه لا ينقل إلا فيما اتصل بالأخبار وتعلق بالأنساب والأيام ، فلم أظفر بما اردت إلا عند أدباء الكتّاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك » اهـ (١) .

وقال : المطبوعون على الشعر من المؤلفين بشار بن برد والسيد الحميري وأبو العتاهية وابن أبي عيينة وقد ذكر الناس في هذا الباب يحيى بن نوفل وسليماً الخاسر وخلف بن

(١) التلخيص للجمع ١ ص ١٠٠

خليفة وأبان بن عبد الحميد اللاحقي أولى بالطبع من هؤلاء وأشار أطعمهم كلهم^(١).
وقال: ولما مدح الكميث بن زيد الأسدي بخالد بن يزيد بن المهلب، فقال له ابن
بيض إنك يا أبا المستهل (كالمجالب) التمر إلى هجر فقال: ولكن تمرنا أجود من
تمرهم^(٢).

والبيان والتبيين من كتب الأدب المهمة في نظمها ونثرها وجاءت صفحة كاشفة عن
النقد الأدبي وكل ما يقال فيه قليل ومؤلفه أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ولد في أول
سنة ١٥٠ هـ - ٧٦٧ م وتوفي سنة ٢٥٥ هـ - ٨٦٨ م ومؤلفاته الأخرى لا تقل غائدة عنه
وهو الأديب الفاضل في وصفه للشعراء كما نعت الأدباء بخير النعمت فكانت لبيانه قيمته
ولأثره مكانته.

(٣) سرقات الشعراء :

لابن المعتز وهو الخليفة أبو العباس عبد الله بن المعتز ولد سنة ٢٤٧ هـ - ٨٦١ م وتوفي
سنة ٢٩٦ هـ - ٩٠٨ م وهو شاعر وأديب وكاتب ومؤرخ وكان آية في الأدب ومؤلفاته
عديدة منها في موضوع بحثنا الكتاب المذكور في النقد الأدبي وهو من نوع كتاب
الموشح للفرزباني . وله : طبقات الشعراء نشره الدكتور عباس بقبال وأعيد طبعه ، وله
رسالة في محاسن شعر أبي تمام ومساويه ، وهذا الكتاب دعا إلى النقد ممن جاء بعده وله
رسائل كثيرة تناول فيها النقد إلا أنه لم يحكم أصوله كما فعل قدامة بن جندب وعلاقته
بشعراء كثيرين تبين درجة عظمتهم في النقد وهذه جاءت في كتاب (ابن المعتز و تراثه في
الأدب والنقد والبيان) للأستاذ محمد عبد المنعم الخفاجي طبعة دار المعهد الجديد للطباعة
سنة ١٩٥٨ م .

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٥٠ طبعة سنة ١٩٥٨ م في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة

بشرح وتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون .

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ١٦٨ .

النقد الأدبي ومصادره

(٤) كتاب نقد الشعر :

تأليف أبي جعفر قدامة بن جعفر بن قدامة المتوفى سنة ٥٢٢٠ هـ - ٩٣٢ م
ويعتد من المؤلفات المعتمدة ، توسع في الموضوع وتبرز فيه ، فكانت
عمدة ولم يهمل المؤلفات قبله ، فقد وحد ما هنالك وحكم رأيه في المطالب ، وأبدى
قدرة فولد احتكاكاً بأراء عديدة ، ومن جاء بعده من العلماء والأدباء لم يخلوا من علاقة
به ، أو اتصال بموضوعه سمة ونقداً إيجابياً أو اختلافاً . طبع لأول مرة في الجواثب في
استنبول سنة ١٣٠٢ هـ ثم تكررت طبعاته ، منها طبعة مكتبة الخانجي بمصر سنة ١٩٤٨ م .
وقد تناوله كثير من العلماء بالبحث منهم :

(١) ابن بشر الأمدى في كتابه (تبين غلط قدامة) وأهداه لأبي الفضل محمد بن
الحسين بن العميد وقرأه عليه سنة ٢٦٥ هـ .

(٢) ابن رشيق القيرواني .

(٣) موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف الموصلى الأصل والبغدادي المولد^(١) ولد
سنة ٥٥٧ هـ - ١١٦١ م وتوفي سنة ٦٢٩ هـ - ١٢٣١ م في كتابه (تكلمة الصناعة في
شرح نقد قدامة) وانتصر للمؤلف في كتابه (كشف الظلام عن قدامة) .

ومن مؤلفاته في موضوع بحثنا :

آ - نقد النثر :

عالج فيه مباحث مهمة في النثر الأدبي وما يطرأ عليه من نقد ، ذكر أنه لم يسبق
المتقدمين ولكنه شرح ما أجوده ، واختصر ما اطالوه ، وأوضح ما أوجزوه وجمع
ما فرقوه ، وأورد نماذج من النثر ، وأبدى نعوت النثر وبعض عيوبه ... ونشر سنة ١٩٣٣ م

(١) التعريف بالمؤرخين ج ١ ص ١٥ - ٢٤ .

بتحقيق الدكتور طه حسين والأستاذ عبد الحميد العبادي وطبع بمطبعة دار الكتب
المصرية بالقاهرة .

ب - كتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام .

هـ (أخبار أبي تمام :

إن ظهور الأساتذة في الأدب كان قد سبب للنقد المهم ، وأو القدرة الأدبية ، وما لفت
الأنظار اليها فأرادوا استغلال ذلك في التوجيه الحق فقالوا الى النقد وهو يؤدي الى اختلاف
الاتجاهات ، وتحول الأنظار ... أو أن هؤلاء يريدون ان يظهرنا ، فينالوا المكانة بسبب
هذه المقارعة ، وقل ان نرى من يعتقد صحة في نقده ولا يلتفت في هذه الحالة الا الى
ما كان مشمولاً بالنظر العائب ، والدعوة لتدقيق والتوجيه الصحيح وصدق النظر ،
بالاصلاح طريقه معروف ، والعمل لرفع مستوى الأدب ، وتقدير مكانته ، والاتصال
بأممه اتصالاً وثيقاً ان ينفذ المرء الى حقيقةه ويكتنه كنهه ...

ولم يكن هذا مقصوداً عن الوجهة الأدبية ، وانما يتناول التاريخ وسائر العلوم الا ان

كلامنا مقصور على الآداب ونقدتها ...

واجل نقد رأيتاه كان في كتب كثيرة ومهمة جداً ومنها : (كتاب أخبار أبي تمام)
وأدبه ، ومزايا الأدب قبله ومكانته والا فلا تظهر مزايا الأديب الا بالمقابلة ، جاء أبو بكر
محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٢٥ هـ - ٩٣٦ م فأوضح عن الأدباء النقاد للأدب
القديم ، أو الحديث . وقد مر بنا من النقد ما يدعو الالتفات وكل كلمة منه تؤدي الى
المعرفة السكاملة في وجود الأدب من الاتصال بالأدباء والشعراء في تصوير قيمة شعره وأدبه
وفصول بيانه ، وتوجيهاته ... وان الأستاذ الصولي وجه نقده على من يترقب الموضوع
ويحاول سرقته ، أو أن يتعين له ، فيحاول ان يزاحم فيه ، وينقد نقداً مرأعياً من جهل
من المعاصرين أدب عصرهم وما عندهم من أدب جم أو الالتفات الى وضعهم بل افعال

ما هناك والاكتفاء بالقديم وربما كان ما كتبه للصوي إلفات نظر إلى أدبه ...
 رأينا لأبي تمام خصوصاً كما لغيره وانصاراً ذاتين عنه وربما كانوا مغالين والأمر بين
 الاثنين بين من يحط من رتبته ، وبين من يرفعها إلى درجة لا يستحقها ولا يتجاوز
 حدودها ، وهي معرفة قدر الرجال الأدباء وتعيين منسازهم ، وتبيين أوضاعهم الحقة ...
 والصولي كتب كتابه المحب لأبي تمام ، المعجب بشعره ، كأن سمع تنقيحاً له من أناس
 مغرطين وأصحاب افتئات عليه ، ومترمتين بل تالين مهاجرين لا هم إلا الظهور ، ولا
 وجه إلا التطلع لأبداء القدرة جاء كتابه ملخصاً ما كتب من أخبار أبي تمام وربما كان
 الزبدة وجاء على الضد من كتاب الموازنة للآمدي ، وللعلماء آراء في الأدباء في القديم
 والتأخير والتفضيل والدم وكل هذا يعين صفحات أو نظرات جليلة في الأدب ربما كانت
 الفريدة من نوعها ، والمرتبحة في حينها وفي جمعها من مجالس كان يطرى فيها الأدباء ،
 ويرجح بعضهم على بعض ... وربما كان بين هؤلاء من يحيل حالة الأدب ، وإنما هو مناصر
 أو أنه مخالف لما عند الآخرين ولا تزال الآراء في المحدثين من الشعراء ، وبينهم الدام
 والمادح ، والمرجح والمخذل ، وكل يحكي طبعه ويمر عن شعوره في الأديب ولا يتخلو امرؤ
 من نقص وربما كان النقد صواباً ، أو أنه غير صواب ... والغريب أن نرى الأديب المسلم
 له بالفضل يناله من بعضهم أشد التنديد وأقسى النقد بأمل الظهور بالشذوذ ، والبروز في
 القم والسب ...

ومهمة الناقد أن يتدبر الآراء ، ويوجه حقيقة الحال ، فلا يضع فكره ولا يدع منقبة
 أو مثابة بحق إلا ذكرها ، ومن ثم يصدر فكرته ، ويلقي دلوه في الدلاء وهذا ما نراه في
 الأستاذ الصوني وهو نفسه وصف أرباب الدعوى قال : وهم مع ذلك يدعون كل شيء ولا
 يقولون في شيء لا ندري ولا نعلم فكانوا كما قال الشاعر :

بمعاطي كل شيء وهو لا يحسن شيئاً

عباس المرزوي

فهو لا يزداد رُشدًا إنما يزدادُ غيًا (١)

ومهمتنا أن نعرف ما قيل في قدمائنا ، والمحدثين وأن تبين وجوه النقد صحيحها وسقيمها مع غض النظر عما داخل من أغراض أو كان مقبولاً في حينه وهو مدخول ... فنقطع في الصواب ونجزم في المتعامل فنبرز تحامله ونعرق بينها ولا نقف عند ذلك مكتوفي الأيدي وإنما توجه الصحيح ونبدي ما عندنا ... والآراء في مختلف المسور منها ما يندثر وتسهل قيمته عند محك الأنتظار ، ولا يتقوى على نقد لا سيما ما كان لا يخلو من فرض وهوى ، أما الزيد فيذهب جفاء ويبقى الصواب الجدير بالأخذ أو الفسك المقبول للظاهر البين الظهور ... ومن ثم يراعى تكامل الفكرة ، ويعرف تطور الرأي وطريق الأخذ به ... وهكذا التفتت الأنتظار إلى شعره وأنه لا يخلو من الجيد والردى فكالواله بما كمال ، ولكنهم لم يختاروا بل نقدوا ، ومنهم من تعصب له ورفع من شعره وأدى إلى ما أدى إليه أمره حتى جاء الأستاذ الصوفي فكان حكماً مرضي الحكم مقبول الحل . والحق أن شعر كل واحد ناعى من نزعتة ، وحالته الروحية فلا ينكر أنه في حالاته لم يكن بمثابة واحدة ، بحيث يمدكئة ممتازاً أو مختاراً بل القصيدة الواحدة لها (بيت القصيدة) ومثل هذا موجود في شعر الشعراء جميعاً ... لا ينقص من قدر الشاعر ولا يقلل من قيمته الأدبية بل إن ارتفاعه وعلوه في بعض شعره هو الذي يدعو لقبول والاختيار وهكذا فعل في شعر كل شاعر نال المسكنة المرضية عند الأدباء لتكون نموذج من يؤهب نفسه للشعر أو يعني أن يقرأ المستحسن منه ... فربما اشتهر الشاعر بقصيدة ولو أنه خذل في أخرى أو قصائد عديدة أو أنه لم تكن له من عيون الشعر سواها ...

وأبو تمام له (عيون الشعر) ويعد من مشاهير الأدب العربي وأكابر نوابغه في الشعر ،

(١) نشره الأستاذة خديجة محمود وعماد عزام ونظير الإسلام الهندي مطبعة المؤلف والترجمة والنشر

النقد الأدبي ومصادره

شغل العلماء مدة في تحقيق نواحي أدبه ولا يزال وعميون شعره متداولة بين الأدباء ، ويكرر ذكرها ...

واعمل القول المنقول : « هما حكيان والشاعر البحري » من أقدم النقد على شعره ، وإنه مملوء حكمة ، بل لا يزال شعره معروفاً متداولاً ... بل تعد حكيمته أحياناً من أبي ما يزينه وكذلك المتنبي فقد بلغت حكيمته في شعره غاية .

ومما تداول من شعره بالمتنبي قصيدته التي مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

لا تزال حديث الأدباء ، ومحل النقاش والنقد ...

وزوتنا الأدبية لم تخل في وقت من هذا النقد بل ان النقد يجلو عن ماهيتها ، فيقطع بصحة بعضها ويهبط لان الأخرى ... الا انها على كل حال لا تزال في عظمتها ونعوتها وجلالة قدرها . وهنا نقول ان عمل الأمة في مختلف عصورها إذا كان الأخذ بالمختار منها نقداً نوعاً ، فلا ريب ان هذا نقد عملي في اختيار الأجود منه ... فلا شك أن النقد الأدبي يستند الى هذا الأصل فيوضح وجود الاختيار وبيان ماهية غير المختار فيكون توجيهاً للأصلح المرغوب فيه من خيار الشعر ، فالنقد ميزان الصحة في هذا الاختيار ، والموضوع الجامع الأدبية وبيان مكانتها من فوق المختار ونقدها من جراء الإخلال .

اختار أبو تمام عيوب الشعر لتقديمه فكان لاختياره مكانته ويفترق عن مجموعة المفضليات للذبي وأمثاله من يريد أن يرسخ الغريب في ذهن القاري وهذا اختار الأصلح فعامل الشعراء قبله بنقد سوى ما اختار أو انتقى فرجع الأولى في نظره والأحق بالتقديم فنالت مجموعته المسكاة فان اختياره مصروفه للجسد من الشعر وتميزه المتبر منه عن غيره في (ديوان حماسه) فكان نقده للجماع الأخرى عملياً وفي دار الكتب المصرية شروح

كثيرة لديوان الحماسة^(١) منها شرح الامام أبي علي أحمد بن محمد المرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ هـ - ١٠٣٠ م وشرح الامام أبي زكريا يحيى الشيباني المعروف بالخطيب التبريزي المولود سنة ٤٢١ هـ - ١٠٣٠ م والمتوفى في جمادى الأولى سنة ٩٠٢ هـ - ١١٠٩ م .

(٦) أخبار البحري :

تأليف الصولي أيضاً حققه وعلق عليه الدكتور صالح الأشر وهو من مطبوعات المجمع

العلمي العربي بدمشق المطبعة الهاشمية سنة ١٩٥٨ م .

كان الصولي أديباً حسن العلم بالأدب وأخبار الأدباء والشعراء وكان شاعراً عالمياً بالشعر مهتماً به أكبر الاهتمام وكتب الأدب مملوءة برواياته وأخباره عنهم وقد ألف أخبار عدد من الشعراء كالفرزدق وابن هرمة والسيد الحميري كما كان نقاداً عالمياً بالنقد الأدبي وفي (كتاب أخبار أبي تمام) أخبار البحري عالج موضوع تفضيل أبي تمام وتفضيل البحري وذكر عيوب البحري في الآداب الى غير ذلك من المباحث^(٢) ومن أهمها ما جاء في النقد الأدبي وسأ نفيه سيرة كتاب أخبار أبي تمام وينقل عن البحري في ترجيحه أبا نواس على مسلم ولما اعترضوا عليه بأن ثعلب لا يوافق قال : « ليس هذا من علم ثعلب واضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله ، وإنما يعرف الشعر من دافع الى مضايقة » .

واشهر البحري بسينيته التي مطلعها :

صنيت نفسي عما يندس نفسي وترفعت عن جدا كل جيس

ونالت استحسان الكثير من الأدباء منهم أمير الشعراء أحمد شوقي وقد عارضها

بقصيدته التي مطلعها :

اختلاف النهار والليل ينسي اذكرا لي الصبا وأيام أنسي

(١) فهرس دار الكتب المصرية ج ٣ ص ٢٠١ و ٢٠٢ .

(٢) أخبار البحري للصولي .

النقد الأدبي ومصادره

كما عارضها الشاعر المعروف حافظ إبراهيم بقسيدة مطلعها :
أوشك الديك أن يصيح ونسي بين هم وبين ظن وهمس
(٧) كتاب الأغاني :

الآداب العربية من أجل الآداب وامكنها ولا يضارعها في إيمانها أدب أمة ، فهو متصل من جاهليته إلى إسلامه ، فوقته الحاضر ، ماتت آداب أمم كثيرة ، ثم عادت الحياة بوجه آخر وشكل جديد ، وما ذلك إلا لأن الأمم المتحضرة الغربية لم تنهض بأديها إلا في عصور متأخرة واكتسبت من التجديد المتوالي ما نساها أو أضاع أديها القديم ... والأمة العربية لا تعرف إلا أدباً واحداً لا يجاري في ميدان لتدوين منظومه ومنشوره في مختلف العصور فظهرت مجاميع مختارة نالت مكانة .

وهذه من أجلها (كتاب الأغاني) تأليف أبي البرج علي بن الحسين الكاتب الإصبهاني المولود سنة ٢٨٤ هـ - ٨٩٧ م والمتوفى ببغداد في ١٤ ذي الحجة سنة ٣٥٦ هـ - ٩٦٧ م ، وهو موضوع بحثنا ويستحق التدقيق من بين آثارنا الأدبية وأوضاعنا المشهودة وحالاتنا التي تستدعي الالتفات في آدابها وتدقيق عصر المؤلف من بين العصور الأدبية ؛ وكتاب الأغاني يحتاج إلى تخصيص واهتمام من وجوهه المتنوعة وهو يحقق تاريخ الأدب إلى أيامه ويعرف من بينها موقمه الممتاز وما اكتسب من نجاح .

والكتاب يفهم بين دفتيه نصوصاً أدبية نظماً ونثراً ينطوي الكثير منها على النقد الأدبي لأفضل كثيرين ، فهو مرآة الأدب وهو صفحة كشفة نراها عندنا ، وخزانة طائفة بالمعلومات والتصوص وآراء الأكارب بضروبها المختارة ، ويرى بعضهم أن صاحب الأغاني أصدق من كتب وأكبر من حقق ودقق ، وآخرون ظنوا أنه كتاب أشرف ، مطعون فيه لا يصلح قوله للاستدلال ، وهذه الأقوال لا تصلح للتوفيق . والفجوة بينها بعيدة لا تسدّها الأقوال الفارغة أو التعصب له أو عليه .

ليس لنا قدرة في التحقيق عن سراير الناس ، ولكننا نعرضها على المحك العلمي تبعاً لميزان النقد فنثبتت مما قال .

فاذا كان المؤلف قد تمكن من اسناد الأقوال فلا شك في هذا الإسناد ، ادباء أدوا الوصف وصح ما نقل عنهم . وهل كانوا صادقين فيما قالوا ؟ أو أن لذلك دافعاً ساق إليه ، فهذا محل نظر :

١ - التسميق الأدبي والتزويق الكلامي .

٢ - قصد الوقعة في الأمير أو الخليفة أو الوزير .

٣ - وقد لا يعرف القصد إلا أن الناقل لم يكن من أهل التحمل للشهادة .

٤ - الموضوع الأدبي لا يراد به إلا التزويق والصنعة الأدبية ، وبذلك تضمناع قيمته ويفقد مزاياها التاريخية وهو الوثوق من الصحة وبذا يفرق بينه وبين أرباب التاريخ .

٥ - الإعجاب بالصنعة .

كل هذه وامثالها تدعو الى أن هذا الموضوع محل شبهة ، وهؤلاء ليسوا من أهل التحمل ، ولا يعول على امثالهم ليكون النقل بثقة وطمأنينة . وجلّ أملنا أن يكون الخبر ممن يقصه بلا تزويق ولا تفتيق أو أن ينقل على حقيقته وهذا تابع لأهلية المنقول عنه في اهلية أداء الشهادة .

وقد طبع الكتاب مرات عديدة في بولاق مطبعة كستي وفي غيرها ومن اجدها مطبوعة دار الكتب المصرية ولم يتم بعد وهو متداول وفائدته للنقد الأدبي كبيرة فانه يصف أدباء كثيرين في النظم والنثر بما يميزهم عن غيرهم وهذا نقد ووصف معاً يصلح أن يكون منهاجاً لكل اديب وشرعة لكل كاتب وقد ترجم صاحب الأغاني جملة اساتذة اشهرهم :

١ - الأستاذ شفيق جبري .

٢ - الدكتور محمد احمد خلف الله .

النقد الأدبي ومصادره

٨) الوساطة بين المتنبي وخصومه (١) :

الشعر لا يتخلو من جيد ، وعال ، ودون وهذه الدرجات يعدها الاكابر ، ويفهمها الأفاضل نقاد الأدب ، العارفون بسأله ومعيبه ويخطئ من يظن الصواب في شعر كل شاعر معروف ، والجلال في عظمة كل شعر ، والمرء يظهر أحياناً ، وينحط أحياناً أخرى ، وقد يعرف الشاعر بقصيدة ، أو ربما كان بيت منها يعسد (بيت القصيدة) إلا أن القدرة تظهر في القصيدة ، وتكبر مكانة قائلها فيعملو شأنه . فهي مختار شعره ، وصفوة أدبه تدل على علو المنزلة وترفع شأنه ، ولعل بعض الشعراء لم ترفعهم إلا قصيدة تغني باقي شعره ، أو لا يلتفت إلا الى هذا المختار .

والنقد الأدبي يتوجه الى المشاهير في الغالب ، ويدرك الضعف في شعرهم الرديء ، أو المتوسط فتظهر معانيهم ومن ثم يراعى نقد شعرهم وما ارتكبوه من خلل في اللفظ والمعنى أو الأسلوب والمفهوم ، فلا يبغض الشاعر في النفيس ، ولا يعمط في الجيد ولا يلهج بذكره في كل شعر ... كما لا يترك أمره في الدون من الشعر فيعنى حقه والمكانة التي يستحقها . وكتب النقد الأدبي جاءتنا بثروة عظيمة من وجوه النقد العام فزرى مؤلفات البلاغة تراعى الجيد وأوصافه .

أتبع العرب طريقة نقد الشعر والغرض منه بيان القدرة ورواج المعرفة ومراعاة القانون العام وما ينبغي ان يكون عليه ، ومن ثم يتوصل الى الغرض فيكون ذلك توجيهاً حقاً فهذا القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني المولود في جرجان سنة ٢٩٠ هـ - ٩٠٢ م والمتوفى سنة ٢٦٦ هـ - ٩٧٦ م كان من الواردين الى بغداد ، وفيها بدأ علمه وظهر أدبه وتجلت مواهبه باتصاله بأدبائها وعلمائها وكان يذرف الدموع على فراقها ، ويتفوق اليها تشوق المستهام . تناول شعر المتنبي بعد هذا الاتصال ، وكتب ما كتب وذكر الأدب

(١) طبع للمرة الثالثة في مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر .

عباس العزاوي

ومراميه ومفاحي اتصاله بالأدب القديم ، وبين أنه لا يحلم اديب من نقد ، ولا يهمل امره
ومن الضروري بيان مكانته الأدبية كما هي باعتدال وقول صدق . وبعد أن ضرب الأمثلة .
وبين نقد القدماء ، مال الى الشعر وتناول مطالب عديدة ، توصل منها الى ادب المتنبي
وأشهر خصائصه ثم عالج موضوع السرقات الشعرية وما آخذ العلماء به ودافع عنه
فأبرز كتابه الخالد مقروناً بأدبه الجم ...

وهنا ألقت النظر الى الشعر الجاهلي وما فيه من ما أخذ أو ما توجه من نقد لأكابر
الشعراء ، وأنه لم يسلم احد من نقد ، وبين أن التحجلات في التوجيه ، والذب عن الشعر
الجاهلي واعتقاد العظمة في اهله مما لا يأتلف والحكم العادل ولا يلتئم والصواب . ويريد
ان يقول : إن المتنبي لم يكن بدعاً من الشعراء بدعوى أنه لا يصح ان يهجو أو يغلط .
ومن المهم أن الأستاذ الجرجاني لم يستفد من البيئة العراقية في ادبها المعاصر له وحده
وانما اطلع على الأدب العربي من وجوهه ووقف على آثاره ، فانه اعتذر عن المتنبي كما اعتذر
أبو بكر الصولي عن أبي تمام ، وتعرض للأدب كما تعرض الصولي الى تاريخه ...
والمحفوظ أن مماثلة المعنى أو مقارنته أو التعديل فيه لا يعد سرقة ، وانما الأديب
يطلع ويكتسب معاني من كتب متفرقة وفي فنون ادب جلية وهذه لا عبرة بها اذا لم
يكسبها وضعاً ادبياً فالذا مما نراه في قول بهار :

من راقب الناس لم يظهر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهب

فصاحه تلميذه سلم الظاهر فقال :

من راقب الناس مات غماً وفاز بالاصدة الجسور

فغضب عليه بهار ، فوكل اليه جماعة يستشعونه فقال له بهار : أقتأخذ معاني التي
عنت بها وتعبت في استنباطها فتكسوها الفاظاً أخف من الفاظي حتى يروي ما تقول ،
ويذهب شعري لا أرضى عنك أبداً فما زال يتضرع اليه ويشفع له القوم حتى رضي عنه .

النقد الأدبي ومصادره

ومثله قول قيس العامري (مجنون ليلى) كما جاء في كتاب أخبار البحري للصوتي :
تداويتُ من ليلى بليلى من الهوى كما يتداوى شارب الخمر بالخر
فكان هذا من أحسن المعاني بأحسن الألفاظ وإن كان الأصل فيه قول الأعشى :
وكأس شربتُ على لذة وأخرى تداويتُ منها بها
فأخذ أبو نواس ، فوالله ما بلغه وظهر في لفظه تكلف فقال :
دع عنك لومي فإنَّ اللومَ إغراء وداوني بالتي كانتُ هي الداء
والكلفة في قوله : « بالتي كانت هي الداء » فقال البحري سارقاً للفظ ومقتضراً
على الطبع :

تداويت من ليلى بليلى فما اشتفى بماء الرُّبى من بات بالماء يشرق^(١)
والعرب تقدوا من يأخذ آراء غيره نقداً عنيفاً ونددوا بمن تصدى لمثل ما تصدى له
وبذلك ردعوا أرباب الرِّبع ممن يتسمى أديباً أو عالماً ، ولم يسلم حتى المتنبى في علو أسلوبه
أن يكون هدفاً في الزميمة ولم يبرز له حتى أخذ المعنى ولم يفرقوا بين السرقات المالية
والأدبية .

وفي كتاب (الكشف عن مساويء المتنبى)^(٢) للصاحب بن عباد المولود في ذي القعدة
سنة ٢٢٤ هـ - ٩٣٦ م والمتوفى بالري في ٢٤ صفر سنة ٣٨٥ هـ - ٩٩٥ م . وفي كتاب
(الإبانة عن سرقات المتنبى لفظاً ومعنى)^(٣) تأليف العلامة أبي سعيد محمد بن أحمد
العميدي المتوفى سنة ٤٢٣ هـ - ١٠٣١ م ما يوضح العلاقة بهذه السرقات .

(٩) الموازنة بين أبي تمام والبحتري :

تأليف أبي القاسم الحسن بن بشر الأمدى الأصل البصري المولد والمنشأ . توفي سنة

(١) أخبار البحري فصول ١٣٥ و ١٢٩ .

(٢) منه نسخة في خزانة الأزهر ج ٥ ص ٢١٨ .

(٣) طبع بالمطبعة القياسية بالقاهرة .

عباس العزاوي

٣٧٠ هـ - ٩٨٠ م وطبعته الثالثة بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٩ م وحقق اصوله وعلق حواشيه الأستاذ محمد يحيى عبد الحميد . تنال في الأصل لشعر أبي تمام فيبين سرقاته وما أخطأ فيه من المعاني ورجح البحتري عليه من وجود ولم يخرج في هذا عن دائرة النقد في كتاب الموشح للرزباني بل ربما كان يفضل للرزباني فيما تناوله من سعة مباحث ، إلا أنه فصل في كتبه الأخرى هذه المطالب كما أنه تجاوزها إلى غيرها من نقد أدبي . ومن مؤلفاته :

- ١ - تفضيل شعر امرئ القيس على الجاهليين .
- ٢ - شرح الحماسة لأبي تمام .
- ٣ - الفرق بين الخاص والمشارك من معاني الشعر .
- ٤ - إصلاح ما في معيار الشعر لابن طباطبا .
- ٥ - الرد على أحمد بن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام .
- ٦ - كتاب في أن الشاعر لا تتفق خواطرها .
- ٧ - فعلت وأفعلت .
- ٨ - المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكنياتهم والقائيم وأنسابهم وبعض شعراء غنيت بفسره مكتبة القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٤ هـ بتصحيح وتعليق الدكتور كركو مع معجم الشعراء للرزباني .
- ٩ - معاني شعر البحتري .
- ١٠ - الموشح في ما أخذ العلماء على الشعراء :

في العصر الرابع الهجري توضح أمر الأدب العربي ، واتجه اتجاهات عديدة وحديثة ظهرت في الشعر ومحاسنه ، وعبوبه وتجلت أكثر في تاريخ الأدب ونقده ... جاء الشيخ أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى الرزباني المولود ببغداد في شهر جمادى الآخرة

النقد الأدبي ومصادره

سنة ٢٩٧ هـ - ٩١٠ م والمتوفى بها في ٢ شوال سنة ٣٨٤ هـ - ٩٩٤ م . فذكر ما انكر على الشعر وتناوله الأدباء في موضوع المحاسن والمساوي مما يجب ان تعرفه للتعجب عنها بل إن الشعراء توقفوا من أن يركبوا مركب ما مضى عليه الشعر من الضرورات أو الأخطاء وحاولوا قدر طاقتهم وجهدهم أن لا يكون في شعرهم مما يستنكر أو يستكره وكان عملهم مبدأ تأسيس قواعد البلاغة ...

والمرزباني لم يكن مبدياً أو موجداً لهذه المآخذ وإنما جمع ونسق ما قاله العلماء ولم يعمل رأيه وضمها كتابه المرشح^(١) ولعلنا لهذا أول كتاب علمي في (نقد الشعر) . تناول ما يتعلق باللفظ والاجن ، وهذا جاء متأخراً في أمر النقد ، والسناد ، والإبطاء والإقواء ، والإكفاء والتضمين ، والكسر ، والإمالة ، والتناقض ، واختلاف اللفظ وهلهة النسيج وسائر ما عيب على الشعراء من نواح كثيرة في الشعر القديم والشعر الحديث وقد أطنب المؤلف في بيانها . وأما العيوب التيسيرية ، أو عيوب الأجسام ، أو الأخلاق والطبائع والأنساب . والديانات وغير ذلك من الخصال فهذه تتكون منها مباحث واسعة ، ولعلنا من العيوب في أيامه ... فقد عالجها في كتابه (المفيد) وزوجه بأخبار المقلين من الشعراء وخبرائهم شعراً ومزايده ...

وهناك أمور أخرى كانت موضوع النقد ، ومن أهمها :

- ١ - سرقات معاني الشعر لاسيما إذا كان قصير في السرقة وكان الأصل أكل وعالجها في كتابه (محاسن الشعر وعيوبه وسرقاته) .
- ٢ - رديء الشعر والمضطرب منه .
- ٣ - توجيهات العيوب ، والناس مخرج لها ، والرد على العائب والظعن فيه وحاولوا أن لا ينسبوا عيباً لمبتدع .

(١) طبع في المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ .

٤ - إقرار المؤلف هذه العيوب ، وبيان لزوم اجتنابها وتابعه شمسعراؤنا فكانوا بعيدين عما يوجب النقد من هذه التواحي ، فإزاء شعرهم أجمل ، ولا يندر المتأخر في هذه المساويء لما نبه عليها إلا أن المؤلف لم يتعرض إلى أن الشعر صار صناعة لا ملكة فطرية . . ولم يقف المؤلف عند هذه الحدود وإنما تجاوزها إلى بيان شعر كل شاعر بذكر أحسن شعره ، ثم يمضي إلى ما يعدُّ رديئاً ، أو معيباً منه ، وسرد أمثلة عملية وأوضاعاً لا تخلو من معرفة حقيقة ، وأدلة محسوسة . وكل هذه تعين الشعر ومزنته ، تناولته الآراء فدخله النقد والتحجيص ، والتوجيه .

فترى المؤلف تبسط في الموضوع من اطرافه ، وجاءت كتبه وافية بالفرض مستوفية للمطلوب ، مستجمعة لما هنالك من نواح عديدة كاشفة عن ادب العرب في الجاهلية والاسلام فكانت ثروة لا يستهان بها وتحنفة للأجيال القادمة .

والمهم أن نقول : إنه من أكابر أساتذة الأدب ، بل أن نظرة إلى مؤلفاته الوافرة المزودة بالنصوص ، آسرين مقدار أدبه ، وعظمة مجهوده في إعلاء شأن الأدب العربي ، ومن كتبه الأخرى :

- ١ - كتاب الشعر : ويتعلق بصناعة الشعر .
- ٢ - الموثق : في الشعراء من جاهليتهم إلى الدولة العباسية .
- ٣ - المستنير : في اخبار الشعراء المحدثين .
- ٤ - المعجم : في الشعراء وتنف من اشعارهم . طبع في القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ وذيته كمال الدين أبو البركات المبارك بن أبي بكر بن حمدان المعروف بابن الشعار الموصلية وسماه (تحفة الشعراء) . فرغ منه في شعبان سنة ٦٣١ هـ (١)

وقيمة هذا النقد ظاهرة للعيان ، ومن آراء التوسع فليرجع إلى مؤلفاته ومؤلفاته

(١) التعريف بالمؤرخين ج ١ ص ٢٥ و ٢٦ للطبوع سنة ١٩٥٢ م بغداد .

النقد الأدبي ومصادره

العلماء التاليين ليعلم ما زادوا من مادة .

(١١) نقد الشعر :

تأليف محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي البغدادي المتوفى سنة ٤٢١ هـ - ١٠٣٠ م .

(١٢) قراضة الذهب في نقد اشعار العرب :

للقند الأدبي وجود الثغرات من الكتاب الأفاضل ساروا عليه نحو مناهج ، وقد سبق ان ذكرت بعضها . ومن أهم ما رأيت من كتب النقد الأدبي كتاب (قراضة الذهب في نقد اشعار العرب) للشيخ أبي علي الحسن بن رشيق الأزدي القيرواني المتوفى بسنة ٤٥٦ هـ - ١٠٦٤ م .

إن تحقيق النهج الأدبي يعين وجود الالتفات التي سار عليها الأدباء قبله أراد أن يتمها بأخرى عرضت له فحاول أن يبرز بها غيره ويعدل في خطته ، ويقرر أمراً جسدياً جديراً بالرعاية ، فصار يعتقد أن لا مجال وراء ما هناك ولا سبيل للخروج على ما ذكر من هذه الضروب والأنواع ، فبأني آخر وهكذا حتى تكاملت علوم البلاغة أو ظهر علم المعاني كما هو الشأن في علم البيان أو الصناعات الأدبية لفظها ومعناها بل قد نرى رسائل في موضوع النقد خاصة ، وفيها نواح تستحق العناية من ضروبها المتنوعة العديدة .

هؤلاء الأفاضل أمثال (ابن رشيق) تعاونوا في مختلف الاقطار الاسلامية والعربية وعززوا تكامل الفن بأمل محاولة الممارسة ، وتطلب الزيادة والانتقال من طريقه فجاءت مدوناتهم متلازمة وفي الندوة مع ترقب للحالات ... ولا سبب الاحب الأدب والتوغل فيه وادراك نواحيه وبيئاتها في (كتب النقد) ، وهي وافرة المادة ...

بعد هذا الكتاب ممتازاً من بينها وإن لم يبخس حق غيره في الوجوه الأخرى والسبل المتبعة وأول أمر تناوله بالبحث والتحقيق (السرقات الشعرية) اتخذ فيها أبحاثاً تتبع النقد فيها وهي :

ألم ترهم كيف استغاثوا به ضحىً
إمام خميس ماج في البر بحره
إذا ضربت فيه الطبول تتابعت
تجاوب نوح بات يندب شجوه
إلى كنفٍ من رحمة الله واسع
يسير كمن اللجة المتدافع
به عذابٌ يحكي ارتعاد الأصابع
وأيدي تكالي فوجئت بالفواجع^(١)

قابل بين الشعراء متباينة خبير مطلع ، وقرب بين المعاني تقريباً بديعاً وعتيقاً أنت
التصرف في المعنى المعروف المؤلف لا يعد صاحبه سارقاً إذا بذل في العناية وأبدع في
الأسلوب . قال :

« هذا التصرف لم يسم آخذة سارقاً . لأن المعنى يكون قليلاً فيحصر ويدعى صاحبه
سارقاً مبتدعاً ، فإذا شاع وتداولته الألسن بعضها من بعض ، تساوى فيه الشعراء إلا المجيد
فإن له فضله أو المقصر ، فإن عليه درك تقصيره إلا أنت يزيد فيه (شيئاً) زيادة بارعة
مستحسنة يستوحيه بها ويستحقه على مبتدعه ومخترعه .

وقد أذف العلماء والنقاد في سرقات الشعراء كتباً عدة وصنفوا تصنيفات كثيرة
اختلفت فيها آراؤهم وتباعدت طرائقهم غير أن أهل التحصيل مجمعون من ذلك على أن
السرقه إنما تقع في البديع النادر ، والخارج من العادة وذلك في العبارات التي هي
الألفاظ^(٢) ... » اهـ

وكنا نود الإخلاص على ما هنالك من مصنعات في النقد الأدبي بل نريد الإحاطة أو
الإلمام بها ، لنعلم مقدار عناية رجالنا بالأدب والاهتمام بشأه فالحاجة تدعو إلى المعرفة الكاملة
إلا أن المؤلف لم يشأ إلا أن يتناول ضروب الأدب في أكابر الشعراء وما أثر به الواحد
على الآخر بالمعنى القريب أو البعيد ، فميز وجوه التقارب والتباعد . وكتابه كافٍ وافٍ
لا يحتاج معه إلى غيره ، ومما ذكره بتفصيل ومثلي له وجوه الاستعارة ، ومليح التشبيه

(١) قرأته الذهب ص ١٠ طبع في مطبعة النهضة بمصر من نشرات مكتبة الخانجي .

(٢) قرأته الذهب ص ١٤ .

النقد الأدبي ومصادره

والمطابقة، والتجنيس والمبالغة وفي هذه ذكر ما أخذ الأدباء وسرقاتهم وقال : « إن الكلام من الكلام مأخوذ ، وبه متملئ والخذق في الأخذ على ضروب ، أنا ذا كر منها ما أمكن وتيسر ، إذ ليست هذه الرسالة موضع استقصاء لا سيما وقد فرغت (من) كتاب العمدة بما يراد أو أكثر والمعاني التي يقال إنها اختراعات وأخذها سرقات إنما هي المقاصد وترتيبها والطرق إليها هي التي يسمى أخذها سرقة لا محالة (١) ... »
وكتابه العمدة من أجل كتب النقد وفي طليعتها .

ولم يكن المؤلف باحثاً ومدوناً لما جرى بخلافه على وجه الإساطة والشمول وإنما شارك وقارع وعين المبالغة وأبدى الرأي وحكم ... فهو الأديب المتخلص في أدبه إلى الوجهة التي رمى إليها وكان عمله (نقداً) حقاً ، لا تشويه شائبة ، ولا يدركه خلل ، أو يناله التقصير والنقص . ولم يترك معاصريه فأوضح العلاقات وبصر بالصلات الأدبية إلى أيامه ...

وقال : (بعد ذكر أمثلة عديدة)

« هذا وأشباهه مما انفرد به كل واحد من الشعراء وإن كان ذلك قليلاً جداً لا يكاد يتناوله حاذق إلا أن يزيد فيه زيادة تحسنه أو تقص من تحظه وتستوفي معناه فيكون أيضاً له فضيلة الإيجاز ، وكذلك تحامى الناس أشياء كثيرة من المعاني أخذت حقها من اللفظ ، فلم (تبق) فيها فضلة تلتبس ، والقرايح تتفاضل ألا ترى إلى قول جميل في صفة امرأة فاجأها :

غدا لأعب في الحبي لم يدبر أنا نمر ولا أرض لنا بطريق

فلا اتحنيناه اتساقاً بكمه وأعلن من روعاتنا بشيق

كيف وصف حقيقة الحال حتى صورها تصويراً مع حسن لفظ وجزالة (بيان) ومع

(١) دراسة الأدب ص ٢٩ .

ذلك ليس ببالغ قول النابتة :

سقط النصف ولم ترد استقامه فتناولته وادتمتنا باليد

على أن النابتة أقدم عصرًا وأشبه بالتمخامة من جميل^(١).

وهكذا مضى في البيان فأبدع ، قابل ووازن فأجاد وأحسن في المناضلات الشعرية ، والمقارعات الأدبية لم يترك شاردة ولا واردة ليكشف عن مزاجها الشعر لكل شاعر فيما رى إليه ، وحاول ابتداءه من نوع موضوعه الذي هدف إليه ، وهو حقيقة تقدم في هذا المناضلة وتلك الموازنة ، والتعرض لنصاة من زيادة ، أو نقص وربما تعرض لأموور عديدة جاءت موضحة لشعر الشعراء وعلاقتهم الأدبية وتلاعب في التعبير وذكر حتى السرقات المغتصرة . وقال :

والسرقة المغتصرة نظم المنثور ، كقول امرأة من أهل البصرة لبشار : أيتها رجل أنت لو كنت أسود الرأس واللحية ؟ فقال بشار أما علمت ان بيض البزاة أمن من سود الغرابان قالت : أما ذلك فحسن في السمع فمن لك بأن (تحسن) شيبتنا في العين كما حسن قولك في السمع ؟ وكان بشار يقول : ما أظمني قط غير هذه المرأة . أخذ البحتري قول بشار فقال :

فبيض البازي أحسن لونا إن تأملت من سواد الغراب^(٢)

ثم ختم رسالته بقوله في وصفها :

دونكها ياسيتد الأحرار وواحد العصر بلى الأعصار

رسالة بيثنة الاعسدار باحت بما تخفي من الأسرار

أدل من فجر على نهار وفضل ذلك السر في الإظهار

(١) ترجمة الذهب ص ٢٠ - ٢١ .

(٢) ترجمة الذهب ص ٤٢ .

النقد الأدبي ومصادره

لطيفة المسلك في اختصار
كأنها من جودة العيار
خفيفة الروح على الأفكار
اليك جاءت لا إلى المهاري
(قراضة من ذهب) الدينار
هل يعرف التبر سوى التجار^(١)

والمؤلف جدير بالإجلال ، حقيق بالثناء ولا اظن أن من عنده من وصف فائق ما يستطيع أن يزيد عليه ، وفي كتابه هذا والحق يقال : عين مزاي الكلام ، وقيمة الأدب ، ودرجة العناية به ، ومقدار الاستفادة من نتاج الشعر والنثر ، وإن ذلك ثروة عظيمة ، تحتاج إلى رعاية وحماية ، وطريق الاستفادة أن يأتي المرء بالجديد ، ويقدم أنفع ما عنده وأرقى من تقدمه في الأدب ليكون مقبولاً ، ولينال المكانة ، ويؤدي المهمة المطلوبة في هذه الرسالة .

ومها قيل فيها قليل بل أقل قليل ، جمعت أدباً غزيراً ، والذوراء المرء عيناً فافطرة فلا يهمل ما قال ، ولا يسلم من نقد ، أو إكبار ... ولكل واحد نصيب من ادبه ، وقيمة فيما كتب أو عرض . ومن ألف فقد استهدف .

(١٣) أعلام الكلام :

مها تتكاثر الكتب الأدبية أو كتب النقد فانها تحتاج الى تجديد دائماً وان الأدباء قاموا بهذه المهمة خير قيام ، ومن كتب النقد الخالدة (اعلام الكلام) لأبي عبد الله محمد بن أبي سعيد بن أحمد بن شرف القيرواني المتوفى سنة ٤٦٠ هـ - ١٠٦٧ م نشره الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب التونسي في مجلة المقتبس^(٢) تحت عنوان (رسائل الانتقاد) على نسخة في خزائنه وأخرى في خزانة الإسكوريال رقم ٥٢٦ من القسم العربي ، وجاء في آخره تمت

(١) قراضة الذهب ص ٥٦ .

(٢) مجلة المقتبس ج ٦ ص ٣٥٠ و ٤٥٠ و ٥٢٥ لسنة ١٩١١ م .

عباس المرزوي

المقامة المعروفة بمسائل الاستناد وأعيد طبعه مستقلاً وفيه زيادات عن النسخة السابقة .
جاء في مقدمته :

« هـذه أحاديث صنفها مختلفة الأنواع ، وتو ثمانية الأسجاع عربيت المواسم ، غريبات التراجم ، واختاقت فيها أخباراً فصيحجات الكلام ، بديعيات النظام ، لها مقاصد طراف ، واستناد طراف ، يروق الصغير معناها ، والكبير معزاها ... » كتبه على لسان أبي الريان السلي بن السكن من سلمان احد النجارين الأعلام :

« قال في جملة احاديث : وجاريت أبا الريان في الشعر والشعراء ومنازلهم في جاهليتهم واسلامهم واستكشفتها عن مذهبهم فيهم ، ومذاهب طبقتهم في قديمهم وحديثهم
نقال (١) ... » هـ .

ويعد هذا الكتاب متمماً لكتاب أبي حاتم السجستاني وعلى نمطه أو كان من الهامه
وجاء مكملاً لمباحثه ، وافية بالأغراض المطوية ، وفيه شمل أزيد ، ويعد من أجل المصادر
واعظمتها ، وربما كان متناً في النقد الأدبي بما بلغ اليه علم زمرة من الأدب فذكر جملة
من الشعراء المشهورين في العصور الجاهلية والاسلامية والمولدين وأهل الجاهيل ، وأغفل
شأنهم ، ذاكراً أبا الريان وهو شخص مستعار ، أو رجل انتزعه من نفسه فكان مخاطبه أبو
الريان يحبه بما عرف ليقدم عن كل شاعر ما عنده وما يعلمه عنه وكأنه أراد أن يعلم قيمة
أثره وتأثيره ، ودرجة علاقته بالوسط لاسمع ما يقال ، ويشجرد عن التبعة لينظر في الأمر
ويتحقق الحالة ... وصف جملة من شعراء الجاهلية وقال : « أما ابن حنظلة البشكري فسهل
الجزون ، قام خطيباً بالموزون ، وفي العادة أن يسهل شرح الشعر بالثر . وهذا أسهل السهل
بالوعر ، مثل قوله :

أبرموا أمرهم بليل فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

(١) اعلام الكلام من ١٤ . طبعة النهضة بمصر سنة ١٩٢٦ وهو من نشرات مكتبة المنهج .

النقد الأدبي ومصادره

من منادٍ ومن مجيبٍ ومن
تصهال خيل خلال ذاك رغاء
فلو اجتمع كل خطيب سائر ، من أول وآخر ، يصفون سفرأً يهضوا بالأسفار ، وعسكراً
تنادى بالهروض الى طلب النار ، لما زادوا على هذا إن لم ينقصوا منه ، ويقصروا عنه وسائر
قصيدته على هذا السلك ، شكايهً وملااب نصفة وعتاب في عزذ (وأنفة) وهو من شعراء أوائل
وأحد السنة هاتيك القبائل ^(١) « اد . ثم ذكر من أدركوا الجاهلية والاسلام كأبي ليلى
الجمدي ، وهكذا مضى الى الشعراء الاسلاميين ، وذكر شعراء بني أمية ثم ذكر جملة من
المواليين ومضى الى من تلامم ...

وكان يقف عند كل شاعر ، فيقرر وضعه ، وما عرف به ، وأبدي أوصافه كلها ، وما
خص به وبهذا يسهل البحث ، ويقرب من المقابلات ، والنقد يركن الى مثل هذا بل يعد
مادته وأصله ، فلا نعجل بالحكم ، وإنما نستطيع بذلك ان ننفذ الى غرض الشاعر ،
والاستحسان أو الاستهجان تابعان للروية وحسن الدربة بأن نعم النظر ، ونسب تستخدم
الفكر ، وإلا كان شأننا خالياً من النفاذ الى كنهه لمعرفة محاسنه ومساوئيه ، ومستقيمه
وأعرجه وان نلظن لغوامضه ومتناقضه ، من جميع وجوهه ، ومناهجه وسرائره ، وإلا
كان مع المستعجل الزلل والأمثلة قضي محققيننا أو نوضح ما ذكرنا ...

والشعر خاصة منه ما يملأ لفظه المسامع فتتوهم فيه ، ونغلق في معناه أو لا نلتفت الى
حقيقة مفهومه ، كما أن بعض ما يتردد من معناد ألفاظه ، وجليل العناية في مدلوله ، ولا
يترتب على جزالة كلماته صحة ذلك الحكم فالعنى الغاية المنشودة ، والألفاظ قوالب المعاني ،
والموازنة بين الأمرين ، والمعرفة الحقة هي الأصل في الاثنين ، ولا يسلم اللفظ من نقد ،
ولا يخلو المعنى من استهداف الغرض المطلوب .

وهكذا يتطرق الخلل الى وسائل البيان وآلاته ، وان كان نموذج النظر يستدعي

(١) اعلام الكلام ص ١٦ .

الانتقادات الى ذلك الغرض ، ويؤدي الى الانتباه الى الأصل وادراك روح الهدف ... وإلا كانت الدوافع لتقبل أو الرد بل النقد الى أمر لا علاقة له بالموضوع كأن نستحسن القديم لجرد قدمه ، ونجمله لمطلق تقدمه في الزمن ومن هذا يتطرق الخلل ، ويتوجه للنقد ويتمرب النقص وقلت في هذا المعنى :

قل لمن لا يرى الماصر شيئاً ويرى للأوائل التقديماً
إنّ ذاك القديم كان جديداً وسيغدو هذا الجديد قديماً

وسنة عبادة الأوائل مائة بظهور الاسلام ، والتقليد لهم هلك بهلاك تلك الآراء .
والمطلوب أن نهمي على المنهاج الخلق في جميع احكامنا من إرام ونقض ، وذكر المؤلف نقداً وجهه على امرئ القيس مع اتساع الأقوال في فضله فيظن ان جواد شعره لا يسكبو ، وحسام شعره لا ينبو ، وهيات من البشر الكمال ومن آدميين الاستواء والاعتدال .
ونقد قوله في قصيدته المقدمة ، ومعلقته المعجمة :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الولايات انك مرجلي

قال : فما أضاء عن الاقرار بهسناً ، وما اشد غشائته عما أدركه من الوصمة به وعدد ما هنالك مما ترتب ... وهكذا مضى الى قوله :

ومثلك حبلي قد طرقت ومرضعاً فأطيتها عن ذي تمام محول

ومضى في نقده ، أو جره الى ذكر قوله :

سموت اليها بعد ما نام أهلها سموت حيساب الماء حالاً على حال

فقلت لحاك الله إنك فاضحي الست ترى السمار والناس أحوالي

حلفت لها بالله حلفه فاجبر لنا مواتنا إن من حديث ولاصال

وكان النقد في محله وهو واضح لكل أديب ، بل فاضح لذلك المعاصر الذي يعتقد أنه لا ينتقد وهكذا استرسل المؤلف في النقد وأورد الأمثلة من شعره ، ولم يمرح في الخيال

والتبجيل ... ثم أشار الى قوله :

هنا دلياني من ثمانين قامة

وقد قرعه جرير بهذا فقال :

تدليت تزني من ثمانين قامة وقصرت عن باع العلا والمكارم

ومضى في ذكر معاصيه ، وانه لم يكن من تلك الصفوة والأسلوب لا يمنع بقوته أن يتوجه عليه ما يتوجه فكان خيرا مثال أورد لما يجب أن يتحلى به الأديب بل توغل في هذا الشاعر خاصة . واستدرك عليه ما شاء أن يستدرك .

ثم قال المؤلف : وهذه العيوب زرة بالنظر لما أورد له من الفضائل الأدبية مما سبق أن قدمه ، أو أوضحه فإذا علا أسلوبه في أمور كثيرة فقد انحط في سلوكه ونهجه في أخرى . وفضلاء الشعراء كثيرون جداً ولسكن سقطات ربما تسوق الى بعضها الإحاطة والتدريب على (مناهج النقد) لا أن نحصر على التماس النقص في التعمد ، وانما يجب أن تكون الخطة في السلوك على قصد ، والا فليس الغرض التنبه بالأدباء دون ذكر المحاسن ، وبيان وجهات النقص .

ومثل لذلك زهير بن أبي سلمى فقال : إنه على ما وصفناه به ، ووصفه شيرنا من العلو والرفعة في هذه الصنعة من مذهبنا وحكمه فيها ، إلا أنه قال :

رأيت المنايا خبط عشواء من تسب تديته ومن كخطيء يعمر فيهم

وإذا كان خالف عقيدتنا ، فإنه عارض العقل كذلك وإن كان لا تريب عليه من جراء ما كان عليه من جاهلية والرأي فائل والقول خبط عشواء . ومثله قوله :

ومن لا يزد عن حوضه بسلاجه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

فتجاوز حدود الحق والمدل . وكانت له مندوحة عن هذا ولم يخل بما كان قد سبق منه ، أو عرف عنه في حكمه الأخرى وحسن أسلوبه ورقته ، وغرره ، ومستحسن أقواله

لا ينكر ، وإن كان التعصب له أو عليه من الأمور التي لا تُستحسن إلا بحق فلا يعمط حقه ، ولا يهمل النقد الموجه عليه ، وكل أحد يؤخذ منه ويرد ...

ثم ذكر أن المستحسن لا يُنكر ، والقبيح لا يهمل وأمثال ذلك مما أُنسب في المراد أو أوضح . وإن ما ذكر من شعري هذين الفصلين والمتقدمين القديمين ما يُغني عن التفتيس عن سقطات سواهما وإيقاس ما لم يقل ، فقد بين أمرأ جليلاً يتعلق بنفسية الشاعر وسلوكه ، أو نقد شعره مما يتعلق بالاجتماع ونهجه .

ثم مضى إلى أن من عيوب الشعر :

المحسن وخشونة حروف الكلمة والزخاف والأوزان ومجاورة الكلمة ما لا يناسبها ولا يقاربها والافتتاحات اللثيمة أو تُبجح الاستفتاح والسرق والإخلال بالتناسب في المعنى والأبيات أو تعقيد الكلام .

وهذه أوسعها علماء البيان ، أو رجال البلاغة ، وأكابر النحو ما يدعو للالتفات وصارت الأغلاط النحوية معيبة ، والمحسن يفتضح قدرة الأديب ويستظهرها ويقلل من شأنها ، والخلل اللفظي في الكلام ، وفي التأليف مما يلتفت الأنظار كثيراً ، ويدعو للنقد المر .

وهنا تدعو الحالة إلى التنبيه إلى أمر جدير بالالتفات ، وهو أن فساد اللغة ، وصيرورتها صناعية دعا أن يتوجه للنقد فيها كثيراً وإن تملأ منه بطون الأوراق . ومن العلماء من جمع الأغلاط النحوية ، والأدبية ، والمغوية لاتقان العربية ، وكتب القدماء أمثال أبي حاتم تدعو إلى مطالب هي الجديرة بالالتفات مع سلامة ما ذكر مما تعرض له مؤلف (أعلام الكلام) .

وأمثلة هذه في شعراء كثيرين . أورد ذكرهم المؤلف وجاءت عيوباً في مشاهير من الشعراء وقل أن يخلو أديب شاعر من نقص ولكن لا يخل هذا عثرته ، ولا يقلل من

النقد الأدبي ومصادره

قيمته الأدبية ولا يدع مجالاً في الموضوع . ولعل السبب الرئيسي في الخلل ناجم عن
الاخلال بالصنعة أو التهاون فيها أو الاتصال بالطبيعية والتطبع فيقع المرء بمثل
ما وقع ...

ثم ذكر أجود الشعر ومختاره وأنه القدوة لمن سلك السبيل والأ نموذج لمن ابتغى أن
يدخل البيوت من أبوابها ، فذكر أمثلة في الحكم وما جرى مجرى المنسل ، وفي الغزل ،
وأورد أحسن المراني وأفصحها ، وأوجعها وأفرحها . وفي المدح قدم خياره وأدل به
على اقتداره .

هذا ونريد أن نقول : إن نتائج المعرفة في الشعر والشعراء أدت أن ندون عن كل واحد
ما عرف عنه ، ويدخل ضمن ذلك النقد ، ونستخلص عيون شعر الشاعر وأن لانفصل امره
لعيب فيه وأن نختار ذلك ليكون عوناً لطالب المعرفة ، أو من أراد الاقتداء بمصبة
الأدب الفاضلة فكانت النظرة سريعة ، ونحن أحوج إليها من مئات المجلدات . ويكفيينا من
القلادة ما أحاط بالعنق .

(١٤) البديع في نقد الشعر :

لأبي عبد الله محمد بن يوسف الكفر طابري المعروف بابن المنيرة المتوفى سنة
٥٠٣ هـ - ١١٠٩ م .

(١٥) ديوان الأبيوردي :

النقد الأدبي تظهر أهميته في ذكر ما يتميز به شاعر عن آخر ، أو ينحط به عن غيره
بأن تكون مزاياه محدودة أو عامة . ويصعب علينا ادراك هذه الامن نقد نظره في المعرفة
الأدبية وما كان من خصال الشاعر أو الأديب في أسلوبه ... والغالب على أدبائنا ان يدعوا
الشاعر لأن التلقي عنه كان بهذه الصورة ، أو وصل اليها خبره من طريق واحد لا تكاد
تخرج عليه ، أو لا تتجلى حالته الا من تلك الوسيلة ، أو كان الاتجاه معيناً فالجود

عباس العزاوي

واضح في مثل هذه الحالة ، ولم نلتفت الى تدقيق الشاعر الامن ناحية شعره ، ومن مقابلته
بغيره ومراعاة المفاضلات بينه وبين اكار الشعر .

والأبيوردي هو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد الأموي المتوفى في شهر ربيع الأول
سنة ٥٠٧ هـ — ١١١٢ م شاعر مقبول الأدب ، وانظر الحرمة في الصنعة ، متفق على اجلاله ..
جاءتنا أخباره كثيرة ، ولكن هل يصح أن نعول عليها ونفكر بما فكر به غيرنا ، أو نلتمس
بأنفسنا أدبه وان ندرسه كأننا لم نعرف عنه ما قيل فيه بأن نواعي ما يوحيه رأينا ، وما
يهدف اليه تحقيقنا فنقول كلمتنا نتيجة اتصالنا بشعره وبأدبه الفياض ...

اننا نشعر بعزايا عظيمة ، نعجب اشعره ، ولدقة صنعته وجليل أدبه وحكمته وأسلوبه
المتين الرائع ، ففي الحماس بلغ الندوة ، وبالفخر تجاوز المؤلف وعلا فوصل الى أسنى
درجاته وفي الغزل كاد ينفرد بسعة الوصف ودقة المعنى ...

وكل ما علمناه أذخرناه لنعود الى ما قيل في شعره ، وما نطق أكارنا بفضله ومكاته
فهل ينطبق شيء من ذلك على ما شعرنا به ؟ وما مقدار ذلك ؟ وما هي الوجوه التي عددها
فائقة فيه ؟

والأمر الأجل أن يجد المرء من ينصره في فكرته ، أو أن آراء قدمائنا لا تزال
جديدة ، أو تتجدد دوماً في إيرادها ، وتعلن عن افتكار صحيح في هذا الأديب الكامل
الذي لم يضيع عزة النفس ولم يفقد الآباء . ذلك موضوع أدبه بوجه عام .

ومحتمنا الآن يقتصر على نقد شعره ولا أدل على ذلك مثل قوله :

كلماتي فلائد الأعناق سوف تمنى الدهور وهي بواقي
دلّ فيها الدهن الجلي بالنسا ظر رفاقٍ على معانٍ دقاق
فقريضي يراه من ينقد الأشعار سهيل المرام صعب المراق

النقد الأدبي ومصادره

لم يشنه المعنى المصويص ولا لفظ يكدة الأسماع مر المذاق^(١)
وهذا الوصف ينطبق على كل شعر مثل شعره من انعموت الفائقة ، وهي تقدمنا خلا منها ،
وديوانه ينبيء عن شعره ، وجزالته من جهة ورقته من أخرى فهو يصدق على ما قال ويعد
درة في جبين العصر سالمة من كل نقد . وعندني نسختان مخطوطتان منه احدهما في غاية
النفاسة والاتقان وفي خزانة مجلس الأمة الايراني^(٢) نسخة كتبت سنة ٦٦٠ هـ وان العهد
الكتاب الأصهباني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠ م قد أدخل هذا الديوان مرتباً على
أحرف الهجاء ضمن كتابه (خريدة القصر وجريدة العصر) مما يتعلق بأدباء ايران خاصة
وعندي منها نسخة خطية قديمة جميلة الخط ومتقنته وترجع لعهد المؤلف أو بعده بقليل .
وكان المترجم خازناً في دار الكتب النظامية ببغداد بعد القاضي أبي يوسف يعقوب
ابن سليمان الاسفراييني المتوفى في شهر رمضان سنة ٤٩٨ هـ - ١١٠٤ م .

(١٦) رسالة المآخذ :

في هذه الأيام كثرت المباحث في (النقد الأدبي) وكلمها تلوك بعض الكتب فلم
تتجاوزها ولا خرجت عن موضوعها ، ولو استقسينا المآخذ على الشعراء والكتاب بما
تناول العلماء من مباحث لغال بنا الأمر ، ولدنا الحال الى مطالب موسعة جداً ، وهناك
كتب عامة تتناول الموضوع ، وأخرى خاصة بشاعر أو جملة شعراء أو عصر أو عهد ،
ومهمتنا توضيح تاريخ الحركة الأدبية في مختلف عهودها فهي المهمة الجديرة بالتدوين
وليس من الصواب الاقتصار على ناحية من نواحيها بل تصعب الاحاطة ومن جهة أخرى
تعد تلك المؤلفات ثروة أدبية غزيرة جداً ، فمن الضروري ان لا تهمل وبناء الفكرة عليها

(١) ديوان الأيوودي ص ٢٢٥ طبعة المطبعة النمائية في لبنان سنة ١٣١٧ هـ وهي سقيمة وطبعت مطبعة
منه على الحجر في مصر سنة ١٢٧٧ هـ .

(٢) مجلة معهد المخطوطات العربية ج ٢ ص ٢٠ .

حاجة أدبية وعلمية معاً .

وهذه الرسالة وردت في كشف الظنون باسم (الرسالة السعيدية في المآخذ السكندرية) نسبة إلى أبي الطيب سعيد بن المبارك الدهان السكندري عالم بلاغة والأدب ، المولود ببغداد في ٢١ رجب سنة ٤٩٢ هـ - ١١٠٠ م وفيها منشأؤه والمتوفى سنة ٥٦٩ هـ - ١١٧٣ م بالموصل^(١) ويفهم من سؤاها أنها (نقد لشعر المتنبي) بما أخذه من أبي تمام الشاعر المعروف أو اشتراكه في المعاني وأدى عين الغرض .

وهي مقابلة بين آراء المتنبي في شعره ، وآراء أبي تمام وما أبداه في النقل من معاني شعره ولا شك أن هذه صفحة أدبية خاصة تدلنا على درجة العلاقة بين الشاعرين وهما صاحباً مكانة مرموقة في الشعر العربي ، وإن تدقيق مثل هذه يعين اتجاهاتنا الأدبية بين الشاعرين وسزايا شعر كل منهما ومعرفة قدرة المؤلف في تحقيق الاتجاه الأدبي ، وما عورض به من أديب آخر مشهور أيضاً حيث تتجلى الموهبة الأدبية في الدفاع والانتصار والسكل فضله وعذبه وأدبه .

(١٧) الاستدراك في الأخذ على المآخذ :

كانت رسالة ابن الدهان قد فقدت أو بقيت في زوايا الأهمال :

والاستدراك تأليف كاتب الديوان أبي الفتح ضياء الدين نصر الله المعروف بابن الأثير الموصلبي صاحب المثل السائر المولود سنة ٥٥٨ هـ - ١١٩٢ م والمتوفى في سنة ٦٣٧ هـ - ١٢٣٩ م ويعد من أكابر رجال الأدب والمؤلفين المغمزين بالمتنبي وشعره وفيها تتعين لنا العلاقة بين أديبين نحويين مشهورين ابن الدهان وابن الأثير كما أوضحت آراء هؤلاء في المتنبي وأبي تمام وهذا هو النقد الأدبي بأجلى مظاهره والعلاقة بين النحويين

(١) معجم الأدياء ج ٤ ص ٢٤١ ولم يذكر هذه الرسالة ، وفيه الوفاة لاسيوتى ص ٢٥٦ . وهدية

العارفين ج ١ ص ٣٩١ والإعلام للأستاذ خير الدين الزركلي ج ٣ ص ١٥٢ الطبعة الجديدة .

النقد الأدبي ومصادره

مشهورة من كتابيها فترى تعارض الآراء ، ومكائنتها من البحث العلمي في تقدير مزايها كل منها ودرجة أدبه .

أخذ ابن الأثير نده بما نسب إلى المتنبي فاتصرت له ودفع عنه ريبة السرقات الشعرية من غيره وناقشه في هذه المآخذ التي نسبها إلى المتنبي وفند ما قال .

ومن المهم ذكره أن ابن الأثير لم يتمكن من ضبط نفسه عن بيان المآخذ على المتنبي ولم يسكت عما عثر عليه من تلك المآخذ التي غفل عنها ابن الدهان في شعر المتنبي ، فيكون كما قال المرحوم الأستاذ المغربي قد جمع بين مؤاخذات ابن الدهان وبين ما استدركه هو عليها ، ومن جراء ذلك سمي كتابه (الاستدراك في الأخذ على المآخذ) . منه :

(١) نسخة فيها خرم لدى الأستاذ المغربي وهذه تصلح للمقابلة والتصحيح .

(٢) نسخة في خزانة الأستاذ العلامة أحمد تيمور سميت بـ (الاستدراك في الأخذ على

المآخذ السكندرية من المعاني الطائفة ^(١)) ، وهي كاملة ولكنها لا تستغني عن سابقها للاستفادة من تصحيحها ومقابلاتها .

ذكر المؤلف في مقدمة كتابه كلاماً سهياً في (نقد الشعر) ولعل هذا محط الفائدة العامة ، وأكثر من الشواهد الشعرية فيه ، وقابل بينها إلا أنه ذم نده وتجاهل عليه ونعت بأنه لا بصيرة له في (صناعة الأدب) ولا عناية بمن (نقد الشعر) .

والكتاب وإن كان خاصاً بشعر شاعر ومقابلته بشعر آخر إلا أنه محل إبراز المواهب في مثل هذه النواحي وطريق البحث فيها بوجه أدبي عام ، وأخذ الموضوع وسيلة للتبسط في الأدب وبيان الأحكام العامة في النقد . والحاجة ماسة لهذه الآثار الخالدة الجديرة بالعناية لاظهار ما فيها ، والتطلع إلى الحركة الأدبية من وجوهها العديدة في عصر من عصور كماله .

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٢١ ص ٣٩١ من مقال للأستاذ عبد القادر المغربي في

ولو فرضنا ان نسخة المآخذ قد فقدت وزالت من اليبين ، فلا شك ان الاستدراك لابن الأثير يعوض نوعاً ، ويبصر بوجود النقد له ، ويعين النهج الأدبي في نظره وان كان لم يذكر مأثرة للأصل ويعطى حق مؤلفه فلم يكن أولى من أن تهكمت حرمة أو ضيع الناس فضله وكال أدبه ، والله عادل لم يترك ابن الأثير يتناول حتى سلط عليه ابن أبي الحديد في نقد كتابه المثل السائر .

وعلى كل حال حاجتنا كبيرة في احياء مثل هذا الأثر الجليل وان تقف على المجري الأدبي في عصر من عصور كماله وبعد صنيعة كاشفة عن حالات النقد في تطور الأزمان ومعرفة أثرين جليلين والأمر غير مقصور على النقد وانما التعرف لمثل هذه الآثار ودرجة الاتصال بها .

١٨) المثل السائر في ادب الكتاب والشاعر (١)

النقد الأدبي في جاهليته لم يكن تابعاً لقواعد علمية أو لتنظيم وإنما هو تابع للمواهب التي تظهر بين حين وآخر ويدخله الأخذ والرد وفي العهد العباسي اكتسب وضعاً علمياً وقواعد خاصة ، ولا شك أنه استعان بما كان يجري من قواعد علمية وعقلية ، ونتيجة جدل أو ما يقال له (آداب البحث والمناظرة (٢)) أو ما هو قريب منها ، فاكسب انتظاماً واستمر في سيرته العلمية الى آخر الدولة العباسية .

والمثل السائر من آخرها وهو من كتب البلاغة المهمة ومن اجل كتب النقد المعتمدة وأوسعها مطالب ، وانجزها مادة ، ونال مكانة في الأوساط الأدبية ، وأحدث ضجة ، فظهرت قيمته فيما رمى اليه من اهداف ، نقد بعض الأدباء نقداً مرأ ، وغالبها مما اكسبه

(١) طبخ في بولاق سنة ١٢٨٢ هـ وفي الطبعة البهية سنة ١٣١٤ هـ وطبع بتحقيق الأستاذ محمد

عبي الدين عبد الحميد سنة ١٣٥٨ هـ - م بمصر .

(٢) بحثنا في مجلة القضاء البغدادية ج ٣ ص ١١ - ١٨ في آداب البحث والمناظرة .

النقد الأدبي ومصادره

التجارب وهو قوي الحججة لا يوازيه انتقاد منتقديه ، ولم يتحاش ذلك مما جلب السخط عليه . وهو تأليف ضياء الدين ابن الأثير .

تداوله العلماء بالبحث والتحصيل والتحقيق ، فمنهم من أعجب به غاية الإعجاب وهذه من أفضل ما كتب في موضوعه وبرز سائر الكتب من نوعه وفيه توجيهات علمية استفادة من الآيات الكريمة والحكم القرآنية فاتخذ معانيها أصلاً في المراد بيانه وكذا من أمثال العوام واقتباسها أو تضمينها للنظم والنثر وفيه بيان عدة الكتب وما يعرف له من عقبات وما يدعو لتقدمه في صناعته فهو توجيهٌ ونقدٌ معاً . انشر قديماً وحديثاً منه نسخ خطية في الموصل وفي الخزانة الأحمديّة نسخة كتبت سنة ١٠٧٧ هـ وفي خزانة الحجيات نسخة كتبت سنة ١٠٧٨ هـ وفي خزانة يحيى باشا نسخة كتبت سنة ١١٢٣ هـ^(١) .

وقد اطّلع عليه الشيخ عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد^(٢) في غرة ذي الحجة سنة ٦٢٣ هـ في بغداد ، وأتمّ نقده بعد أسبوعين بكتاب سماه (الفلك الدائر على المثل السائر) وتعرض فيه للغة كثيراً وصلاح ان يكون كتاب نقد لغوي كما أنه كتاب نقد أدبي وتعرض له أيضاً عند شرحه لنهج البلاغة في مواطن عديدة منه . وكتب إليه أخوه موفق الدين أبو المعالي القاسم مقرظاً له ، قال :

(١) مخطوطات الموصل للكثير داود الجملي طبع سنة ١٩٢٧ م في مطبعة انقراة بنسب دادر ٤١

(٢) هو عز الدين عبد الحميد بن حبة الله الداهلي ويعرف به (ابن أبي الحديد) ولد في غرة ذي الحجة سنة ٥٥٦ هـ - - ١١٩٥ م وتوفي في جمادى الآخرة سنة ٦٥٦ هـ - - ١٢٥٨ م بعد أخيه القاضي موفق الدين أبي المعالي القاسم ابن أبي الحديد الداهلي بأربعة عشر يوماً وفي زمانه لأخيه المذكور يفيد أنه توفي بعد الوزير ابن العاصمي بنحو أسبوع وهذا توفي سنة ٦٥٦ هـ - - ١٢٥٨ م وما جاء في قولان الوفيات ج ١ ص ٢١٧ من أنه توفي سنة ٦٥٥ هـ فغير صحيح وترجمته المذكورة في آخر شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٧١ نقلها عن ابن القوملي من كتابه (معجز الآداب في معجم الألقاب) وأوسع ترجمة رأيناها له في كتاب نسمة الشعر مخطوطة عندي نسختها .

المثل السائر يا سيدي صنعت فيه الفلك الدائراً
لكن ههنا فلك دائراً أصبحت فيه المثل السائراً

فإذا كان ابن الأثير أبلع في أثره ، وحاول أن ينجح النجاح كله في موضوعه الأدبي وفي النقد من ناحيته فلا ريب أن ابن أبي أديد فاق في التوجيه وأبدى قدرة في نقده ، ويصح الجمع بينهما والاستفادة من تعيينهما فلا يستغنى بالواحد عن الآخر وكل منهما مصيب فيما رام نوعاً وموفق فيما قصد ... ولكن النقد الموجه لم يكن كله صحيحاً ولا يزال أصلاً في التوجيه العلمي في البلاغة وعلاقتها بالأدب العربي فكان كل كتاب منها بقي خالداً لم تنسخه العصور ، ولم تؤثر عليه في مطالبها وأوضاعها المتجددة ...

قال ابن أبي الحديد :

« وجدت فيه المحمود والمقبول ، والمردود والمردول أما المحمود منه فأشبهه أثره وصناعته ، فإنه لا بأس بذلك إلا في الأقل النادر ، وأما المرود فيه فنظره وجدله واحتجاجه واعتراضه ، فإنه لم يأت في ذلك في الأكثر الأثلب بما يلتفت إليه ، ولا بما يعتمد عليه ، فداني عن تتبعه ومناقضته في هذه المواضع النظرية أمور منهساؤها أثره على الفضلاء ، وغضه منهم ، وعيبه لهم ، وطعنه عليهم فإن في ذلك ما يدعو إلى العيرة عليهم والانتصار لهم ، ومنها إفراطه في الإعجاب بنفسه ، والتبجح برأيه والتفريط لمعرفته وصناعته وهذا عيب قبيح يحبط عمل الإنسان ويوجب المقت من الله والعباد ^(١) ... » اهـ

ومن خلال سطورهم يفهم أنه يحاول مناقضته ويريد أن يبدي قدرته ، ولم يكن الانتصار فيما نقد صحيحاً من كل وجه ، وأظهر نعمة في الانتصار لبغداد وأنه لا يصح منه أن يفخر على بغداد ولم يقصر في مدح نفسه ، ولا أهمل ناحيته ، وجاهر بأنه خدام بها خزائن الخليفة المستنصر بالله ... وقد نقل كلمات من الأصل فعلق عليها ونقد المصنف نقداً

(١) الفلك الدائر من طبع دار الهند الحبرية سنة ١٣٠٩ هـ .

النقد الأدبي ومصادره

مرأ أصاب في بعضه أحياناً ومن وجه وأخطأ في آخر منه ، وقدرة الرجل مساندة ولا يخلو كتابه من فوائده ، وتوضيحات ومباحث جليلة ..

والنقد الموجه على الأصل جاء بتعامل وتعرض سياسي وهذا لا يقلل من قيمته ولا يجعلنا نتركه لما نشاهد من نقد ومطالبه عظيمة والناقد فاضل ، والانتصار وسيئة .
جاءتنا القائدتان مجموعتين لا يستغنى بواحدة منهما عن الأخرى وفيهما جلاء عن نفسيات لا يستهان بها . . .

وصنف أبو القاسم محمود بن الحسين الركن السنجاري المتوفى سنة ٦٤٠ هـ ١٢٤٣ م كتاباً يرد فيه على الفلك الدائر سماه (كثر المثل السائر وطى الفلك الدائر) وصنف بعضهم كتاباً سماه (الروض الزاهر في محاسن المثل السائر) وصنف عبيد العزيز بن عيسى كتاباً سماه (قطع الدائر عن الفلك الدائر)^(١) .

ونجم الدين أبي زكريا يحيى بن شمس الدين محمد بن عبدان اللبودي الحكيم الأديب من علماء الأطباء واقف المدرسة اليهودية من مدارس الطب بدمشق . صنف كتاب (نزهة الناظر في المثل السائر) والظاهر أنه توفي بعد ابن أبي أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ هـ ١٢٦٨ م فقد أورد له شعراً مؤرخاً في سنة ٦٦٦ هـ ولم يذكر وفاته وجاء في كتاب الأعلام : ولد في حلب سنة ٦٠٧ هـ - ١٢١٠ م وتوفي سنة ٦٧٠ هـ - ١٢٧١ م وما جاء في كشف الظنون من أنه توفي سنة ٦٦١ هـ فقير صواب كما أن والده شمس الدين محمد توفي سنة ٦٢١ هـ كما في

(١) كشف الظنون في مادة المثل السائر ج ٢ ص ٢٧٦ من طبعة استنبول القديمة وفي ج ٢ ص ١٥٨٦ من طبعة استنبول الجديدة وجاء في ج ٢ ص ٢٣٨ من الطبعة القديمة وفي ج ٢ ص ٢٣٠٢ من الطبعة الجديدة أن مؤلف كتاب قطع الدائر هو السيوطي وفي تامة ، وإفاته ما يشير إلى ذلك أيضاً أما المؤلف عبد العزيز بن عيسى فلم أجد له ترجمة في الشذرات والدرر السكينة والضوء اللامع .

عباس العزاوي

الشفرات فلا احتمال ان يكتب كتابه قبل تأليف ابن أبي الحديد كتابه التلخيص الدائر^(١) .
وصنف صلاح الدين خليل بن ابيك الصغدي كتاباً سماه (نصرة الثائر على الممثل السائر)
منه نسخة في خزانة المرحوم الأستاذ العلامة أحمد تيمور باشا .
والعلامة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي المعروف بابن العطار الديسري
المصري المتوفى سنة ٧٩٤ هـ - ١٢٩١ م (زهة الناظر في المثل السائر)^(٢) .
كل هذه المؤلفات تدل على عناية كبيرة ورعاية من أكابر العلماء منهم من رد عليه
ومتهم من انتصر له .

ويلاحظ :

أن درجة الاهتمام بالأدب ، وطريق الاستفادة من منظومه ومنشوره ، إنما يكون
بعقدار مراعاته لأدبه ، واثقانه ، فهو وانظر المادة في المعاني المقصودة ، مستكمل العسدة
جامع المطالب وإذا كنا نرى النقد الأدبي مرعباً فهذا لا يبرر أذعياء الكتاب أن يشعروا
في الصرف والنحو ويتهوسوا في أمور لا تغيب عن يدرك ديني العربية والكتب التي
وصفناها وأمثالها تربي مذكرة الأدب وتسمي النقد الأدبي وفيها كفاية عن الاستقصاء .
- نسمع من كتاب عديدين أن الأدب العربي خلو من النقد العام أو النقد الشامل
للموضوع وإنما يراعي الجزئية وما فيها من مادة خاصة كأن ينقد بيتاً أو كلمة في بيت وما

(١) تاريخ علم الفلك في العراق من ١٠٠٠ - ١٠٠٦ والاعلام للأستاذ خير الدين الزركلي الطبعة الجديدة
ج ١ ص ٢٠٩ ومقدمة الاحلال ومسامرة الخيال تأليف الشيخ عبد القادر بدران ص ٢٥٢ من منشورات
المسكبة الاسلامي للطباعة والنشر بدمشق سنة ١٩٦٠ والدارس في المدارس من قنعين ج ٢ ص ١٢٠ نشره
الأستاذ الأمير جعفر الحسني وهو من مطبوعات التجميع العلمي العربي بدمشق وعيون الأبناء في حقيقات الأطباء
لابن أبي اسوية ج ٢ ص ١٨٥ - ١٨٩ للطبعة الوهية سنة ١٨٨٢ م .

(٢) كتاب الاسفار من العلوم والاسفار تأليف الأستاذ محمد جميل النظم حماوي ص ١٥٢ ومقدمة
العارفين ج ١ ص ١١٩ وكشف الظنون .

النقد الأدبي ومصادره

ماثل ذلك ، وحصرنا مثل هذا النقد في انه موجه نحو الموازنات دون حكم أو أنه يرجح ويفضل في هذا الحكم .

ولا يهمننا من يكتب كما يريد دون ملاحظة الواقع ، فالأدب العربي مدون في آثاره العديدة ، ويستدعي النظر في حقيقة ما قيل أو يقال . . . ومن المهم ان نتثبت ، ونرجع الى مدوناتنا ، فنقطع في الموضوع ونعين الغرض المقصود في مثل هذه الأمور ونتبع كلام العرب . وهل قاموا بمهمة مثل ما عند الغربيين من نقد أدبي ، ذلك ما تناولناه في هذه المباحث التي صارت غذاء للعهد التالية ونهجاً للأمة في سيرتها الأدبية .

والنقد الأدبي من شأن الأدباء وأنه ذوق لا يقدره غيرهم ، والاشتغالات اللغوية والنحوية والصرفية من شأنها أن تصلح النطق لأنها تصلح الأدب وإنما الملكة في الأدب وآثاره هي التي تحقق الأغراض وتسمي الذوق الأدبي وليس لدينا طريقة لتقوية الملكة سوى مراجعة الآثار الأدبية والاكثار من مطالعتها .

ويهمننا اشتغال ادبائنا وعلمائنا بالأدب ومعرفة تاريخ هذا الاشتغال ضرورية لادراك هذا النقد ، وتطوره . وفي هذه الحالة ترى الضرورة تدعو الى معرفة :

- (١) الذوق والاشتغال باستمرار ليفصح المجال لتقدير الملكة وموضوعه عظيم الأثر .
- (٢) عيوب الشعر والنثر ، من ناحية الاخلال بهذا الذوق تارة ، ومن الاخلال بالتواعد من أخرى . مع ملاحظة السرقات الشعرية .
- (٣) دخول الأساليب الغربية وانها تجديد في الأدب ومادته .
- (٤) استفادة الصنعة مما هو طبيعي وجار على سننه دون المتكافئ .
- (٥) تدقيق الآثار الأدبية وأقوال الأدباء مع مراعاة الصلة بالنقد الأدبي وتاريخه لتتوصل الى نتيجة ومن ثم تقارن بين الطبقاتنا وما خلفه السلف .

(٦) الأدب العربي صار ينظر إليه بمنظار الأدب العالمي فان مزايا آداب الأمم وسائل جديدة وطريق للمعرفة والفيض الأدبي .

٤ - عمر المفعول والتركان

من سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م

الى سنة ٩٤١ هـ - ١٥٢٤ م

استمرت الحالة الأدبية على وتيرة من العهد العباسي فكان غذاءؤها المؤلفات السابقة في النقد الأدبي وحدث فيها بعض التجدد فكان لها لونها الخاص من جهة والدوام على ما جرى .

وكتب النقد الأدبي تتناول المباحث العامة والقواعد الشاملة في النقد ، ولكن اتخذ اديب أصلاً في الموضوع أقرب للوجهة العملية والمساعدة المتوخاة ، فأنما من قبيل اعطاء الحكم بالمثل ، فاكتب النقد الأدبي تنظيماً كبيراً ونال مكانة رائعة .

ولا شك ان كتب النقد تنزع منها القواعد ولها نظائر في العهد العباسي وتقنين الأحكام ولم تكن مسبقة في التنبؤ به أو أن المرء يحاول ذكر ما لم يعهد ذكره في الفات النظر .

ولم يكن هذا النقد إلا مقارعة في الاتجاهات الأدبية ومعارضة لما هو شائع على خلاف ما نرى من نقادنا الحاضرين ، يتخذون العطف اللغوي ، وإعادة ما ذكر في المعاجم أو لوحظ في الكتب المعتادة المتداولة كأنهم اكتشفوا أمراً جديداً ، أو فتحوها في اللغة فتحاً غير مسبق أو جاؤا بأمر لم يعهد ...

وبذلك ظهرت مؤلفات عديدة صارت غذاء أدبيات وثروة لا يستهان بها . وهذه

النقد الأدبي ومصادره

يوسفنا أننا لم نحافظ على بعضها ، فمن نتائج الأهل أن حرماننا نفعها كما هو الشأن في الكتب المؤلفة في المثل السائر ، وفي الفلك الدائر في اللب عن آراء كل منها حرماننا معرفة الاتجاهات في هذه الحركة الأدبية أو ما يصح أن نسميه المعركة الأدبية لو لم تزعمها توجهات أو تدخلها فمسورة في بعض النقد على خلاف ما تقتضيه آداب البحث والمناظرة .

و (النقد الأدبي) وما يعارضه فإن من أمثلته الواضحة ومؤلفاته تتجلى في الكلام على (ابن سناء الملك) والنقد الموجه عليه من ابن جبارة وأبي حيان وصفي الدين الحلي ، ومن اعتبار الصلاح الصفدي لابن سناء الملك والدفاع عنه وهذه مناقشات أو مراجعات في آراء أدبية ومباريات في توجهات لغوية يقصد منها ما هو أجل من النقد أعني تثبيت الآراء وتعيين التوجهات في تاريخ النقد الأدبي ومصادره ومن أهم هذه المصادر :

١ - شعر ابن سناء الملك :

وابن سناء الملك عالم وقاض وشاعر معروف في أيامه وقد شعره أوضاعاً متعاضدة وجرّ إلى مناقشات بين نحارير الأدب ولم يكن النقد بالمستغرب ، وإنما سبق أن نقد الأدباء شعراء كثيرين نقدوا شعراء من وجود عديدة من جهة أنه لا يخلو من القاطن عامية أو معرفة ، أو اصطلاحية أو تعابير ركيكة نشأت من تأثير اتصاله بالعامية وهكذا تناولوا أسلوبه ... ودعا إلى حركة أدبية من أيام العهد العباسي فما بعده وبالتعمير الأولى اتخذ وسيلة لإظهار القدرة الأدبية في نقده ، وفي الدفاع عنه والانتصار له ، وهو الأديب الكامل ، فيصالح أن يكون شعراء موضوعاً للنقد الأدبي ووسيلة لبحثه .

وهذا ما نعت به الصلاح الصفدي :

« من الأدباء الذين ما لحاسنهم إنكار ، والشعراء الذين جاؤا من أعيننا بأبكار الأفكار ، والنضلاء الذين روقوا سلاطات المعاني فحصل منها للألباب إسكار ، وأولي الاختراع الذين يقضي لحاسن ما شرحوا وابتكروا للقاضيان شرح وبكار ، فهو الأديب الكامل عملاً ،

والقبيب الذي كم بلغ من الاختراع املا ، والأريب الذي استوفت راح معانيه حولها ككلا ،
 نظم القريض فأبان عن البيان واعرب ، فمزّ غصون الأعطاف وهزأ بالهائم فأطرب ، وقال
 الموشح فشرق (ذكره) فأشرق وغرب فأغرب ، وكلماته في كل ما أتى به كما قال العزوي :
 تقود في حلي الأيام تجلي وطوراً فوق أحكام السكال
 ولكنّه حسد على محاسنه ، وحصلت الفيرة منه لكونه غاص على در كلامه ،
 واستخرجه من معادنه ، حسدوا الفتي إذ لم ينالوا ، وتعرضوا إذ لم يبالوا ، وقد اعترض
 عليه جماعة بالعرض وما بدأوا جواهره النفيسة بالعرض (١) ... » اهـ

ومختارات هذا الشاعر متداولة بين الأدباء ومن شعره المحفوظ قصيدته التي مطلعها :

سواي يهاب الموت أو يرهب الردى
 وغيري يهوى اب يعيش بخلدنا
 ولكنني لا أرهب الدهر إن سطا
 ولا أحرص الموت الزوام إذا عدا

ومنها :

ولي قلم في أنجلي ان هزوته
 اذا صال فوق الطرس وقع صريره
 فمن شعره :

لا العفن يحكيك ولا الجؤذر
 يا باسماً أبسدي لنا نغره
 قال لي اللاحي اما تسمع
 حسنك مما كثروا أكثر
 عقداً ولكن كانه جوهر
 فقلت يا لاحي اما تبصر

(١) كتاب الانتصار على جواهر الدرر في الادب لابن سناء الملك تأليف الشيخ صلاح الدين خلد بن

أبيك العفدي - مخطوطي .

النقد الأدبي ومصادره

وَأَبْنُ سَنَاءِ الْمَلِكِ هُوَ الْقَاضِي السَّعِيدُ أَبِي الْقَاسِمِ هَيْبَةَ اللَّهِ ابْنُ الْقَاضِي الرَّشِيدِ أَبِي الْفَضْلِ جَعْفَرِ السَّعْدِيِّ الْمِصْرِيِّ وَوُلِدَ سَنَةَ ٥٥٠ هـ - ١١٥٥ م وَتُوفِيَ سَنَةَ ٦٠٨ هـ - ١٢١١ م وَمُؤَلَّفَاتُهُ :

- ١- ديوان شعره : نشر بتصحيح وتعليق الدكتور محمد عبد الحق ومصدر بمقدمة مطبوعة باللغة الانكليزية وطبع في مطبعة دائرة المعارف العثمانية بمحيدر آباد الدكن - الهند سنة ١٩٥٨ م وصفحاته ٨٨٥ والمقدمة ٦٢ صفحة .
- ٢- دار الطراز في الموشحات .
- ٣- الرسائل : بينه وبين القاضي الفاضل .
- ٤- روح الحيوان : مختصر كتاب الحيوان للجاحظ .
- ٥- فصوص الفصول وعقود العقول : في الأدب منه نسخة في خزنة الاسكوريال^(١) وفي خزنة الأزهر .

٢- نظم الدرر في زمر الشعر :

تأليف الشيخ شرف الدين أبي الحسن علي بن جبارة علق على قطعة من شعر ابن سناء الملك وتقدمها بتحامل^(٢) استفادة من شهرته ليبرز في هذا النقد . وكان كتب النقد الأولى قد مضى عهدها ، فأراد أن يبدي قدرة في مناقضة ابن سناء الملك على ما اكتسب من شهرة في زمانه وهذا الكتاب لم يتيسر لنا العثور عليه ، ولا تدري كيف غفلت العصور عنه واهملت أمره مع احتفاظها بمن نقد المتنبي من أدباء ، أو أبا تمام ، أو البحتري وأمثالهم .. وقد اتصم الصلاح الصفدي لابن سناء الملك في كتابه الغيث المسجيم بقوله :

« ومن حسن التخلص قول ابن المعتز :

(١) وفيات الامراء لابن خلكان ج ٢ ص ٢٨٠ مطبعة بولاق وهدية البارزين لاسماعيل باشا البغدادي

ج ٢ ص ٥٠٦ طعة الخليلي .

(٢) كتاب الاقصر على جواهر السالك في الانتصار لابن سناء الملاحه مخطوطتي ص ٢ .

والله لا ككلمتها ولو أنها كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي.

وقد أشار ابن سناء الملك إلى هذا بقوله :

ومليحة بالحسن يسخر وجهها بالبدر يهزأ ريقها بالترقف

لا أرتضي بالشمس تشبيها لها والبدر بل لا اكتفي بالمكتفي

وتعدت عليه ابن جبارة في تماريقه (نظم الدر في نقد الشعر) التي أملاها على شعر ابن سناء الملك وقال عند هذا البيت هذا نوع من الجنون والاختلاط وذلك أن هذا الشاعر كثيراً ما يسمع الشعر ويختلط فيه ذهنه فيأتي به على غير ما يقتضيه فإن ابن المعتز أنشد البيت وأراد كونها في الحسن كالشمس التي هي آية النهار أو كالبدر الذي هو آية الليل أو كالمكتفي الذي هو خليفة الأرض في عظم الشأن وكبر السلطان فنقله هذا الشاعر إلى الحسن. ومن أين للمكتفي صفة الحسن؟ والذي دلت عليه التواريخ أنه أسمر أعين قصيراً وليست هذه من صفات الحسن؟ وإنما ظن ابن المعتز وصفه بالحسن فشى على ظنه وأخذ في مبيع فنه وليس كما ظنه واعتقد ولا قصد ما قصد^(١) ... » وتناول هذا الموضوع في كتابه وتلاوة وعلاوة على كتابه الاقتصار على جواهر السلك فقال :

« لما كنت بالديار المصرية حرسها الله تعالى في سنة ٧٣٨ هـ قال لي يوماً بعض أهل

الأدب ومن يظن نفسه أنه ينسل إليه من كل حدب أنت يعجبك قول ابن سناء الملك ؟

لا أرتضي بالشمس في تشبيها بالبدر بل لا أكتفي بالمكتفي

قلت نعم^(١) ... » وتناول في جوابه سعة وتفصيلاً عما ذكر آنفاً ... ويفهم أن

المعترض يتمسك بقول ابن جبارة ويعتقد بصحته في سؤاله .

(١) الفيت للديلم في شرح لامية الديلم ج ١ ص ١٢٨ المطبعة الأزهرية بدمر سنة ١٢٠٠ هـ وأهد

ذكره في ص ٢٢٤ وفي ج ٢ ص ١٠ و ١٨٢ وديوان ابن سناء الملك حاشية ص ٢٧ .

(٢) تلاوة وعلاوة مخطوطني ص ٢٨ .

النقد الأدبي ومصادره

٣ - نقد الشعر :

تأليف الشيخ العلامة أبي حيان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي النحوي ولد سنة ٦٥٤ هـ - ١٢٥٦ م وتوفي بالقاهرة في ٢٨ صفر سنة ٧٤٥ هـ - ١٣٤٤ م وهو أستاذ الشيخ صلاح الدين الصفدي . وتعرض في كتابه هذا نقد شعر ابن سناء الملك ولم نطلع عليه لتدرك وجوه النقد .

٤ - العاقل الحلي والمرخص الغالي :

للشيخ صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي ويعد من كتب عصره وأدبائه وعلمائه وشعرائه ومن المشاهير في اللغة وكتابه هذا من أهم كتب النقد الأدبي واللغوي ويوضح مدى تمكنه في اللغة وجاء في مقدمته :

« وسميته (العاقل الحلي والمرخص الغالي) لكونه عاقلًا من الإعراب حاليًا من المعاني والآداب مرخصًا بين ذوي الخلاعة والجزل غالبًا على ذوي الجسد والجزل وجمعت كتابة كل ما أشكل من لفظه على صورة النطق به والتلفظ لا على قاعدة الضبط والتحفظ افتداء بما فرضه أربابه من القروض واتباعاً لأئمة علم العروض ... » .

ولد في شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ - ١٢٧٨ م وتوفي ببغداد في المحرم سنة ٧٥٠ هـ - ١٣٤٨ م (١) .

جاء في كتاب الاقتصار على جواهر السالك للاستاذ خليل بن أبيك الصفدي ما نصه :

« قال الشيخ الامام الأديب البارع البليغ المغمود الفاضل شاعر زمانه صفي الدين

(١) تفصيل ترجمته في الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٦٩ وفوات الوفيات لابن شاكر الكنتي ج ١ ص ٢٢٩ والبدور العالم والتمهل المصلي والسنوني بمد الوان مخطوطة برقم ٢٤٦٨ في خزانة نور عثمانية والأعلام للاسفاد خير الدين الزركاني ج ٤ ص ١٨٦ وتفصيل ترجمته في المجلد الأول من كتابنا التاريخ الأدبي في العراق للعلامة الطيبي .

عباس المرزوي

عبد العزيز الحلبي رحمه الله تعالى في آخر كتابه (العامل الخالي والمرخص الغالي) .
هذه الفنون الأربعة وإن عدها قوم من سقط المتاع ، فإنها شديدة الامتناع ، خصوصاً
على من لم يباشر لفظها ، أو يعانى حفظها . وكان من عزمي أن أعرض عنها ، ولا أنظم فنناً
منها . فلما رأيت أهل كل فن يفعلونه على الأشعار العربية والألفاظ الأدبية ، ويدعون أن
سواهم كالمبتذل عليهم ، والمرتمي اليهم ، نظمت منها قديراً يسيراً ، ليشهد لي بأقدرة عليها ،
ولم أر أن ألتهم بها عن الأعلى فالأعلى من فنون الأدب ، وإن اعتدل عن الدر الخشب .
لعلي أن الإكثار منها يفسد لسان العربي إذا ألقه .

ألا ترى إلى القاضي الأجل الكامل عز الدين هبة الله بن سناء الملك مع فصاحة لسانه .
وفضل بيانه . لما كثرت محاورته لأرباب الأرجال . وألف ألفاظهم ، وإن كان أكثر منظومه
الموشح المعرب لكن جعل جميع خرجاته زجلية غلب على نظمه في القريض استعمال اللفظ
العامي ، وفساد المعنى ، واختلاف تركيبه ، حتى أخرجوا له جملة من ديوانه من ذلك . وبما
لا يجوز استعماله في العربية جزءاً كبيراً ، اه (١) .

وهنا لم يستهدف الصنفي الحلبي إلا التوجيه في مفردات اللغة ، وترأكيها ، فبين أن
الإكثار من اللغة العامية والرجل يفسد اللغة الفصحى ويؤثر على ألفاظها وأساليبها .
إن الصنفي الحلبي دون ما رآه صواباً من نقد ، وهو العارف بمواطن الكلم والكلام ،
وهو ما نشاهد بعمق في هذه الأيام . فإذا كان لم يعيب شاكلة الصواب من
كل وجه في اتخاذه قريض ابن سناء الملك موضوعه ، فلا ريب أنه في التنبيه على الأفساد
كان الحلبي ، وحاول سد الباب حرصاً على الفصحى .

(١) كتابه الاقتصار على جواهر السلك . وهذا النص ليس له ذكر في الطبع من العامل الخالي والمرخص الغالي

أنه حذف منه .

النقد الأدبي ومصادره

بقيت القاعدة التي قررها محفوظة معتبرة ، وكانت ناحية الانتصار لابن سناء الملك مقصورة على الأمثلة ، فهل يصح أن نعد ابن سناء الملك في عداد من ذكرهم ؟ لا نريد أن نتعصب للصفي الحلي وإنما نقول : إن الأيام في تعاقبها تجعلنا نقطع بأن هذه الآراء تتجدد ، وإنما محل الأخذ والرد ، وعندنا كثيرون صاروا يردون إبداء ما عندهم بلفظ عامي خشية أن يحاسبوا على الغلط أو يرموا بالجهل ، ولم يدروا أن لغات العالم تابعة لقواعد في صحة التلفظ بالوجه اللائق والضبط الصحيح ، فكان فقدان الملكة ونقصان الثمرين من أسباب الفشل ، ولم يكن هذا من اللغة وإنما هو من نفس الأدباء ، واللغة العربية في كل أزمانها عبرت عن أجل المطالب وأبدت ما تجدد من نزعات أو نزغات ، وأوضحت كل أمل ، فلم يعوزها بيان .

وما مكانة الأدب العامي ، وشعر البادية في النفوس إلا لأنه أرفى في عاميته من شعر شعراء لم يوفقوا في قريضهم لضعف في التعبير وركود في القرائح على خلاف ما نعلمه فيمن فاقت مزايهم الأدبية ، فبرزوا غيرهم وأخذ شعرهم نصيبه من النفوس في قوة التعبير ، وسهولة الأداء ، وجذب انتباه السامع .

وعلى كل حال لم يكن النقد محاسبة لابن سناء الملك على هفوة ، أو غلطة ، فهذا أيسر ما يقع ، وإنما المقصود تصحيح فكرة ، والآراء المختلفة بل المهم تعيين نهج أدبي في استعمال الألفاظ ، وفي رعاية التراكيب . يقول الحلي : هذه نتيجة تعود لاغلط مقصود . ومن هذه وأمثالها تكون النقد الأدبي فصار ثروة كبيرة ، وخلد آثاراً عظيمة كانت أجل رأس مال أدبي .

هذا و (العاقل الحلي والمرخص العالي) كما يفهم من لوصفه أنه لم يتعرض لما ذكره الصلاح الصفدي في كتابه (الافتصار على جواهر السلك في الانتصار لابن سناء الملك) والظاهر أن هذا الكتاب قد حذف منه ما يتعلق بهذا البحث باعتباره خارجاً عن

عباس العزاوي

موضوع الكتاب ولعله مهذب منه . طبع في ألمانيا سنة ١٩٥٥ من نشرات مجمع العلوم والآداب عني بتصحيحه الأستاذ ولهم عوننا .

٥ — كتاب في فنون السلك في امره انحصار يوم من سائر الملائك : (مخطوطات

نادرة) .

يصعب علينا تقدير قيمة المرء ، والوقوف على مكانته من كتب التراجم الموجودة ، فان غالبها يكاد الواحد يشبه الآخر في اسلوبه ، ونوعته بل ترى هذه النوعت غير خاصة بواحد ، وتميل الى ان الواحد قريب من الآخر في اشتغاله ، خصوصاً بعد ان يعرف ان المترجمين يزاولون موضوعاً واحداً ، أو يتناولون أمراً عين ما يزاوله الآخر .

يعرف المرء بما أوتي من مواهب ، وما ملك من قدرة ، وما أدرك من صنعة وهذه خير مقياس لها أثره ، وما خلفه مما له علاقة مكينة بتفكيره ، وما أبداه من رأي ... ومؤلف هذا الكتاب الاستاذ العلامة الشيخ خليل بن أبيك الصغدي^(١) ولد سنة ٦٩٦ هـ — ١٢٩٦ م وتوفي في ١٠ شوال سنة ٧٦٤ هـ — ١٢٦٣ م . ولم يعرف بتخصيصه واحدة أو ببعض الخصائل . وإنما هو ممن جمع فضائل حمة فأمكن أن يعد في مصنف أكابر المفكرين ، والعلماء المشتغلين ورجال الأدب .

مع يتفاضل الرجال بما يملكون من هذه المواهب البارزة في آثارهم لا بكثرة الجمع ، ولا بالتنسيق ، وإنما بالادراك المقرون بهذه الأمور ، وتجلت القدرة التاريخية ، والمكانة الأدبية ، والمادة اللغوية ، والمزايا العالية ... لا يزيد غير ما ذكر ، ولا تتطلب أكثر ما علم ، ولم تكن لتعلم الحالة بالتضمن ، أو بطريق الاستدلال والاستنتاج ، أو من العدد الكبير الى آخر ما هنالك .

(١) التعريف بالتاريخين ج ١ ص ١٩٢ ومبشرات السكي ج ٦ ص ٩٤ ولقد ذكر السكينة ج ٢ ص ٥٧

وهائرة المطرف الاسلامية ومعجم المصروفات ص ١٢١٠ وفيه العذوبع من آثاره .

النقد الأدبي ومصادره

نريد أن ندرك بعض أساليبه ، وطريقته في البيان ، ودرجة الفائدة ومقدار العناية ، وزيادة التفكير لتتمكن من الوصول إلى الغرض ، وندرك الحاجة ونهتم للأمر ذلك الاهتمام كله أو بعضه مما لا يكفي وحده أيضاً لمعرفة بل نعين كنهه ما زاووله من مطالب ... وكل هذا يتحقق من آثاره .

وإذا كان مسبقاً بأدبائه أفاضل مثل ياقوت الحموي وابن خلكان وغيرهما فإن فضائله لا تكاد تحصى ، والتجدد في البحث الأدبي يجعل له المنزلة العالية في عصر المماليك في مصر وليس غرضنا ترجيحه ، بل من أكاير الأدباء فضل ، بل كل أثر من آثاره يعين مكانته الفائقة فتجده في مصنف من أجهته العصور الإسلامية من الأفاذاذ ، وكل واحد يؤخذ من قوله ويرد ، وإنما نحاول بيان خدماته في النقد الأدبي وتاريخ الأدب .

وبينا كتابه المسمى (الاقتصار على جواهر السلك في الانتصار لابن سناء الملك) اقتنيت في آخر ايلول سنة ١٩٢٤ في بغداد نسخة مخطوطة منه بخط جميل مضبوط . وفيها من التذهيب والتزيق ما يعين العظمة . كتبت للخزانة الكريمة المولوية الأفضلية العلامية لابن فضل الله^(١) صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الإسلامية .

أوله : « أما بعد حمد الله على ما طي حرمنا الحريمه ، وتواهي النفوس على الاتسار لمن كان منية الحياة وأصبح رمية المنية ، وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي لم ينقض قوله ، ولم ينقص طوله ، وعلى آله وصحبه الذين تورعوا عن ذكر الأموات ، وراقبوا الله تعالى في المحاضر والخلوات . وسلامه الى يوم الدين ... » اهـ

والكتاب يفهم من براعة استهلاله انه رد على الصفي الحلي وهو عراقي في كتابه (العاقل الحلي والمرخص العالي) وعلى شرف الدين ابن جبارة في كتابه (نظم الدر في

(١) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد العمري المعروف بابن فضل الله الكاتب الدهشقي ولد سنة ٥٧٠٠ هـ - ١٢٠٠ م وتوفي في ٩ ذي الحجة سنة ٦٤٩ هـ - ١٣٤٨ م وترجمته في فوات الوفاة ج ١ ص ٢ والتعريف بالمؤرخين ج ١ ص ١٥٢ .

نقد الشعر) . انتصر لابن سناء الملك وهو مصري ، كما أن المؤلف الصفدي شامي . وهكذا تكون الأقطار العربية قد اشتركت في الموضوع . فكان قلم الصفدي واضح الحجج ، فظاهر الدليل ، كامل السعة ، لا يجارى في ميدان وقد ذكرنا بما قيل :

علم يبدال الحروف وقامح لكل خطيب يغلب الحق باطله

ينقل النص ، ويبدي رأيه فيه ، ويعزز ذلك بشواهد ونظائر ، فلا يدع زيادة لمستزيد . ومنه نعلم درجة النقد ووجه الانتصار ، وتظهر مكانته وقدرته في التوجيه الأدبي . ويتجلى النقد في :

سازمة وتزوقت :

كان الصفدي قد ذكر قول الصفي الحلبي : الوجه الذي عرضته ، وأبدي رأيه على وجهه ، وأورد الأمثلة التطبيقية ، قال الصفي الحلبي :

« مما لابن سناء الملك من اللفظ العامي قوله :

ساذجة لكنها بالحسن قد تزوقت

لم يسمع في لغة العرب الساذج أبداً ، لكنه في لغة الصناع والنقاشين مع ما أضيف إليه من لفظ (تزوقت) العامية . « اه
فأجاب الصفدي بما لفظه :

« الشيخ صفي الدين رحمه الله تعالى شاعر عصره ، ونادرة دهره في فنّ النظم مطلقاً ، وهو جواد في جواد الشعر مقدم ، وإن كان في هامش الزمان جاء ملحاً إلا أنه الآن تمصّب وجاء إلى هذا الزركش المصري فجعله من المتصّب أو المقصب ، ولو ادعى ذلك غيره لكنت حاكته إليه ، وجعلته صريع الحق لديه ، وكان هو من أكبر الأنصار على ما كان في ظني ، وخيالي في فيه ذهني . فقوله : إن (ساذجة) و (تزوقت) من ألفاظ العوام ، أقول : ساذجة وإن لم تكن من ألفاظ العرب فإنها قد صارت في العرف حقيقة ،

النقد الأدبي ومصادره

واشتهرت اشتهاً لا يكتمه الجهل ، ولا يسع أحداً تكراره حتى إن أرباب المنطق يقولون (التصور هو الإدراك الساذج) . والحقائق العرفية لا ينكرها الأصوليون ، ألا ترى أن العرب العرباء لما دار في عرفهم وفيما بينهم ، واشتهر ما لا هو من كلامهم ، بل هو من لسان الحبشة ، ومن لسان الروم ، ومن لسان الفرس ، ومن لسان الترك جعلوه من كلامهم ، وتداولوه فيما بينهم ، وأكثروا من استعمالهم ذلك حتى نزل به القرآن العظيم عليهم مثل (دسأها) و (مشكاة) فإنها بلسان الحبشة ، ومثل (فردوس) و (القسطاس) فإنها بلسان الروم ، ومثل (اقليد) و (استبرق) فإنها بلسان فارس ، ومثل (غساق) فإنه بلسان الترك .

وإذا كان هذا في القرآن العظيم الذي نزل على مثل فصحاء قريش وهم على ما هم من الفصاحة العظمى ، والبلاغة التي إذا ارتوى منها أحدهم شارباً ، فالظن بمن جاء في هذا الزمن الأخير ، ونظم الموشح والزجل ، ومزج هذا بالشعر القريض . غير تكرار هذا من مثل صفى الدين عريب إلى الغاية على أن ابن الجوابي قال في المعرب^(١) الذي له : (والساذج فارسي معرب) . فصار حكمه حكم اقليد واستبرق ، ولا ضمن على ابن سناء الملك . ويا عناء ابن سناء الملك ، ويا خيبة آماله فيما نظمه ، وتوجهه في محاسنه التي لا يدركها إلا مثل صفى الدين وأشباهه من أشياخ الأدب وأرباب الذوق ... : « اه

ثم أورد أمثلة من (كتاب الخصائص) ، ومن (كتاب ذم السباع) للإمام أبي بكر بن الحسين الآجري . في استعمال هذه اللفظة . وقال :

« وأما دعواه أن (تزوقت) من ألفاظ العوام فغير دسأهم . لأن ذلك لفظ جاء في

(١) للمعرب من الكلام الأعجمي تأليف ابن منصور موهوب بن أحمد الجواليقي المولود سنة ٤١٦ هـ

— ١٠٢١ م وللتوفى سنة ٥٢٩ هـ — ١١٢١ م . طبع في ليبسك سنة ١٨٦٢ م ثم طبع بتحقيق

وشرح الأستاذ أحمد محمد شاكر بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٦١ هـ على عدة نسخ ومن

أجل وأغنى طبع .

الحديث وهو (لا ينبغي لنبى أن يدخل بيتاً مزوقاً) أورده صاحب (الفردوس الأعلى) وقد قال الجوهري : والزويق الرقيق في لغة أهل المدينة وهو يقع في التزيق ^(١) . لأنه يجعل مع الذهب نى الحديد ، ثم يدخل في النار ، فيذهب منه الرقيق ويبقى الذهب ، ثم قيل لكل منقش مزوق وإن لم يكن فيه الرقيق وزوقت الكلام إذا حسنته وقومته ^(٢) فقد ثبت أن (تزوقت) كلام عربي . « إلى آخر ما قال ثم أورد شواهد لشعراء آخرين وقال :

« هذا البيت الذي لابن سناء الملك هو من جملة أبيات أولها :

يا ويح نفس تشتت مصرية تسدمشتت
ساذجة لكتبا بالمحسن قد تزوقت

ومنها :

. وكم لها من عاشق لحيته قد حلفت .
. فني إذا ما سكنت وثبية انت نطقت .
. وزورت لحية مسك نفحت وعبقت .
وما اكتفت بكتب نو ن الصدغ حتى مشتت
هويت منها علقه من نظرة تعلقت

وهي خمسة وعشرون بيتاً ^(٣) من هذا النمط : فما لصاحب ذوق أن ينكر (ساذجة) ، و (تزوقت) .

إن ورود هذه الألفاظ في الحديث وفي كلام الشعراء وغيرهم لا يخرجها عن كونها

(١) ورد في الصحاح للجوهري التزيق .

(٢) الصحاح ج ٢ ص ٩٠ وقوله في مادة زيق أنه معربه .

(٣) ديوان ابن سناء الملك ص ١٦٢ وفيه الأبيات كاملة .

النقد الأدبي ومصادره

معربة . والمهم — كما قال الصفي الحلبي — أن تاريخها متصل بتاريخ الصناعة ، وهو تاريخ (التذهيب على الحديد) ، ثم (التنقيش والتصوير) ، وبعد ذلك التحسين ، ثم تحسين الكلام وتزويقه . أو أن يكون ساذجاً . وجاء في خطط المقرئ ذي ذكر (كتاب النبراس والنس الجلاس في أخبار المروّقين من الناس) لو تيسر الحصول عليه لادررنا تاريخ الصناعة ، ولكن الصفي لم يدع في القوس منزع ، فأوضح الصناعة ، والمراد بأوجز عبارة .

وتعرض لهذا الموضوع المرحوم الأستاذ العلامة أحمد تيمور باشا في كتابه (التصوير عند العرب) ، كما تعرض له الدكتور زكي محمد حسن في كتابه (كنوز الفاطميين) ، وعرف الاتصال بالتنقيش والتصوير والسذاجة ، وفي تاج العروس ما يؤيد قول الصفي .

وهنا المراجعات العلمية أو فحمت تعيين اللفظ العربي والمعرب ، وأن لا تتجاوز في الأخذ بما يمد مصطلحاً . فكان الخصام يدور حول الاستعمال الأدبي . وقد رأينا أحياناً مصطلحات فقهية ، ونحوية وغيرها تدخل الشعر . . . ويعاب في الغالب على أرباب العلم أو الصناعة أن يستقلوا بالفاظهم فيتخذوها لسان الأدب ، أو أن يجعلها الأديب لسان أدبه ، إذ للمصطلح لغة خاصة .

نكرشوا وطرشوا :

وقال الصفي الحلبي :

« إن العلو ق جميعهم قد نكرشوا وترجشوا وتقبجوا وتوحشوا^(١) »

قد أحسنوا في التلف لكن ماحوا تلك الخطوط به ولكن طرشوا

فلا أدري أي الألفاظ العامية فيها أعداد أو أعداد ما في البيت الأول أو البيت الثاني .

وأما لفظة نكرشوا وطرشوا فلم ينطق بها عربي أبداً . وهذه لغة ناظمي الأرجال

والموالي . « اه »

(١) إن هذا البيت والذي يليه لم نجد لها قرأ في ديوان ابن سناء الملك .

قال الصنعدي :

« قد مرّ الجواب عن استعمال مثل هذه الألفاظ مع تسليم كونها غير عربية ... والظاهر أن أصل نكرش تكرش لأن العرب تقول تكرش وجهه إذا تقبّض ، وكان الإنسان إذا أسنّ تكرش وجهه وتقبّض وصارت فيسه غضون لا تليق بالغصون كما يكون في الجين المغضن . على أن لفظة (نكريش)^(١) بالأعجمي^(٢) معناه (ذقن جيد) ، إلى أن قال وقوله وتهجّوا تقول العرب إن تهجين الأمر تضيحه وقوله تقبّحوا عربي فصيح وهو تقبّحوا من التبّيح وقوله توحّشوا لفظة عربية قال الجوهري جاءني أوحاش من الناس أي سقاطهم وقوله التّف عربي فصيح ثبت بذلك أن ما معه في البيتين من الألفاظ الخارجة عن كلام العرب إلا نكرشوا وطرشوا وما يقال في لفظتين ما أدري ما أعدّد ، أعدّد ما في الأول أم ما في الثاني ، ولكن التعصب يؤدي إلى التّفنّب ، والتّفامل ينتهي بصاحبه إلى التّفامل ، وما أحسن قول ابن سناء الملك :

قد احسنوا في التّف لسكن ما محوا تلك الخطوط به ولكن طرشوا

إن هذا المعنى حسن فيه غرض وابداع لأنه جمع فيه جميع الألفاظ التي يتداولها صغار المكاتب من قولهم محّا لوتحه وطرشش لوتحي وخطي ... »

الفاظ أخرى :

وهكذا مضى الحلبي في نقد ألفاظ أخرى . واستمر الصنعدي في الإجابة فاعترض الحلبي على (التعنيق) في بيت لابن سناء الملك ، فسلم الصنعدي بأنه غير وارد في اللغة ، ولكنه تمسك بجواز القياس . ثم مضى إلى استعمال لفظة « الشلاق » ، وهي من المعربات ، وهل يجوز استعمالها دائماً ، أو يقتصر على ما جاء في ألفاظ كبار الأدب مثل لفظ النوروز والمهرجان وغيرها ؟ ثم ذكر الألفاظ لم يحجر العرب عليها باطراد بل في شذوذ مثل

(١) أصلها نيك ريش .

(٢) بالأصل وردت بالأعجمي

التنقد الأدبي ومصادره

(هناك) . أما الصنفي فإنه لم ير بأساً فيها .

وهذه الأمثلة لا تميز اللفظ العامي ، أو المعرب بلى تناولت ألفاظاً عربية ، وذكر مواطن اتساقها من ناحية الفساحة مما هو معلوم في علم البلاغة .

فساد المعنى واختلاف التركيب :

« قال الشيخ صفي الدين رحمه الله تعالى . وإنما ما أخرجوا له من فساد المعنى واختلاف تركيبه فكثير جداً كقوله في مליح أصحابه يرقان :

قالوا غلبنا اليرقان ملء جفونه

وبدونه يدنو سلبوا الأنف

فأجبتهم كيف سلوا وإنما

في اليوم قد كئت صفات النرجس

فما كفناه أن جعل اليرقان في الأجنان . وإنما هو في بياض العين حتى جعل ما في

النرجس من البياض أصفر ، وما فيه من الصفار أسود وأخلى النرجس من البياض . وجعله أصفر بين أسودين . ولولا اشتغاله بألفاظ العامة وتراكيبهم لما فاتته مثل ذلك .

أقول : لا يلزم من قوله ملء جفونه أنه في نفس جفونه وإنما أراد بذلك أن اليرقان

ملء ما بين جفونه كأنه قال ملء عيونه ، وقوله جعل ما في النرجس من البياض أصفر ...

لا يثبت على محك البرهان ، وقد سمحت العرب أشياء كثيرة من هذا النوع ، أنهم يطلقون

الشيء على ما يجاوره ... ولم ينكر ذلك أحد عليهم وعدوه من المحاسن ... والشاهد

على هذا كثير . على أن ابن سناء الملك رحمه الله تعالى ما ادعى صفة اليرقان للنرجس هو

وحده ، ولا هو الذي اخترعه ، فهذا ابن الرومي وهو ممن لا يدافع قوله في التشبيهات

يقول في هجو النرجس :

أنظر إلى نرجس تبدي

يوماً لعينيك منه طاقه

واكتب لشأني مشبيهه

بالحق في دفتر الخافه

وأبي حسن يرى لعين
مع برقانت يحل ماقه
كُرْأية ركبت عليها
صفرة بيض على رفاقه
وقسول أبي بكر الصنوبري يفضّل الورد على النرجس :

زعم الورد أنه هو أزهي
من جميع الأزهار والريحان
فأجابته عين النرجس الغض
ببذل من قولها وهو ان
أيما أحسن التورد أو مة
لله ريم مريضة الأجناف
أم فاذا يرجو بحمرته الور
د إذا لم يكن له عينان
فزها الورد ثم قال لئننا
بقياس مستحسن وبيان
ان ورد الخلدود أحسن من
عين بها صفرة من اليرقان

وابن سناء الملك من هنا أخذ قوله وإياه قلده ...

قال الشيخ صفدي الدين رحمه الله تعالى . وقوله :

أكن في كمي دموعي حياً فهل سمعتم ان كمي كمين

والدمع هو الكمين لأنه يعيل بمعنى فاعل مثل قدير وعظيم ورحيم ، فالدمع هو الكامن
في الكم بدليل قوله أكن في كمي دموعي حياً . والكم هو الموضع المكن فيه ، ثم قال
كمي كمين ، وأضاف الى ذلك فساد اللفظ بقوله أكن ، ولم يرد للعرب إلا كمن بغير الف ،
فقد جمع في هذا البيت عدة عيوب مع أن لفظه مضطرب ، وهو خاوم من البلاغة .
أقول (القول للصفدي) :

قد تقدم الكلام أن الشعر لا يثبت تقدمه على محك البرهان .

والشعر ألمح يكفي إشارته وليس بالهشدر ما زالت خطبه

... ومن ذلك مثل قوله تعالى : « فقبضت قبضة من أثر الرسول » والتفسير أن

السامري قبض قبضة من أثر فرس الرسول .. »

وذكر توجيهات لما أورده الصفي ...

« قال الشيخ صفي الدين رحمه الله تعالى وقوله في المدح :

تمضّل منك أعلّى بينهم قبيعي ومنة منك أعلّنتني لهم قيا

فالمفهوم من صدر هذا البيت هو المفهوم من مجزءه بعينه لفظاً ومعنى ولم يغير في لفظه سوى التفضّل بالمنة ومعناها واحد ، فلا فائدة في هذا العطف لكونه عطف الشيء على نفسه . وهذا لا يفوت من هو دونه .

أقول :

ليس الأمر كما ادّعاء ابن سناء الملك لم يقله كما قاله هو ، وإنما هو حرّقه عليه ، أو الناسخ غلط وعم فصحتف وحرّف ، فإن كان الناسخ وهم فله العذر في ذلك إذا كان مثل صفي الدين الحلبي وعم فيه . والذي أعرفه أنا من هذا البيت أنه :

تفضّل منك أعلّى بينهم قبيعي ومنة منك أعلّنتني لهم قيا

فالأول أعلّى بالعين معجمة وقبيعي بالياء آخر الحروف جمع قبيعة والثاني أعلّنتني بالعين مبهمة من العلو وقمياً بيمين جمع قبة .

فحينئذ هذا البيت كله بديع ، ومعناه من أطف المعاني وأمدحها فهو عكس ما أراده الشيخ صفي الدين ... ولو فرض أن البيت كما ادّعاء الشيخ صفي الدين لأمكن الجواب عنه .

وهكذا مضى في تفصيل المباحث ، وأورد شواهد وأمثلة لتبرير ما قاله ابن سناء الملك وتوجيه ما توجه إليه من نقد ...

ثم إنه كتب رسالة في توجيه ما وجدته من نقد في مصر موجه على ابن سناء الملك ، لجعل غالبه ناجماً من تصحييف شعره جعلها ذريلاً على كتاب الاقتصار على جواهر السلك في الاقتصار لابن سناء الملك بعنوان (تلاوة لذك وعلاوة عليه) وذلك ضمنها ما أراد .

وهذه قد كتبت بعد ذلك الكتاب وهي جديرة بالاهتمام وليس الغرض أن أقض جميع ما في الكتاب . أو ما في تلاوته وعلاوته . وغالب ما اعتذر الصغدني به لابن سناء الملك قوله : انه ورد الشعر بوجه آخر مما يبدو الى (تصحيح النقل) . وقد وضع مجرى النقد والانتصار .

وفي هذه الأيام لا تزال المناقشة قائمة بين الأدباء في مثل هذه الأمور ، فهؤلاء كلهم متفقون على استعمال التصحيح في اللغة ، وعلى مراعاة حسن التأليف في التركيب . مما يدلنا على خطأ رأي القائلين باستعمال العامية ، والاكتثار من المعربات .

ومن الأدلة المسرودة يظهر ان الصفي الحلبي قوي الحججة في نقده ، لا يقل عن نده ، وكان حريصاً على اللغة أن يدخلها ما يفسد صفوتها وبهاؤها ، ولا تزال نرى الأهم في تعصب اللغاة في الشرق والغرب ، فتسعى لتنقية ألفاظها ، وتراعي لهجتها ، ولا تزيغ عن تلفظها بوجه الصواب . وهكذا نرى الصغدني عظيماً في توجيهه الأدبي ، وانتصاره لابن سناء الملك الذي تواتر عليه النقد من أفاضل كثيرين في الأدب .

٦ — كتاب الفيث الزبي أنسجم في شرح روضة العجم :

هذا الكتاب من أجل كتب الأدب يحوي استعراضاً في (التاريخ الأدبي) ، وفي (النقد) ولم يتصد مؤلفه المؤرخ الأديب الصغدني لنقد خاص بأحد ما .

وجعل هذا الشرح للتصيدة المعروفة بلامية العجم واستهل كتابه بقوله « أحببت أن أضع عليها شرحاً زين حيدتها (فرائد) وقصيدتها (فوائد) ولا أغادر فيهما لغة ولا إعراباً ، ولا إيضاح معنى ولا إعراباً ... هذا الى ما يستطرد اليه الكلام من نكتة ، وتعرض جملة (تذكر) نكتة ... ليكون هذا الشرح انموذج الأدب ، وعنواناً يدل على التفضيلة التي امتاز بها لسان العرب فقد اودعت فيه فوائدها ، وقواعد مهبة . وشواهد

النقد الأدبي ومصادره

هي لجامحات المعاني أزمة^(١) ...» اهـ .

كان وافياً بالحاجة مع الاختصار كفيلاً بالبيان وإن لم يراع الاطناب فهو صمنحة تهيء عن نموذج العصور وصفوة الآداب ومجمل تاريخها ، فأبان عن معنى الأدب ، والدوق الأدبي ونقل أقوالاً وافية ليجاحظ وابن قتيبة وما قاله صناديد الأدب في الأدب ووصاياهم فيه فأبدع في النقل والقول ، فتجلت موهبته في الأدب والصنعة .

بدأ بترجمة حياة الناظم وهو العميد مؤيد الدين نجر الكتاب أبو اسماعيل الحسين بن علي الأصهباني الطغرائي ثم شرح معنى الطغراء ... فتجلت القدرة التاريخية بأرزة للعيان وسار في الأدب بتحقيق وتدقيق بل بعناية وعناء كأنه كشف عن أدبه المكتوم وأبان عن كامن قدرته ابانة لا تنكر قيمتها ، ولا يصح أن يهمل شأنها .

أخذ موضوع أدبه نرجه فلم يترك نظمه ولا نثره ولعله أراد أن يشرح جميع ثقافته . ويوضح حتى ما قيل في الكيمياء ونسبها إليه ، والمعارضات لها ، وأورد :

أعيان الفلاسفة الماضين في الحقب	أن يصنعوا ذهباً إلا من الذهب
أو يصنعوا فضة بيضاء خالصة	الإمن الفضة المعروفة للنسب
فقل لطالها من غير معدنها	أضعت نفسك بالتكيد والتعب ^(٢)

والموضوع بيان أدب أديب ، والمهارة في التصرف الأدبي ، وما يعوز من مطلق مما له علاقة بجعله مجموعاً وافياً وروية أدبية خالدة ... أحياناً بأدبه ذكر الطغرائي ، وخلد شعرد ، وعين منزلته بين الشعراء والأدباء المعاصرين له أو قبل عصره جاهدي أو إسلامي وأعاد في علاقاتنا بالأدب العربي ومختاراته كثيرة جداً ، هي انتقاد أديب ، لا يستطيع إيرادها أو

(١) الفيت الذي انجم (الفيت للأعجم) في شرح لامية همجم من م الطبعة الأزهرية المصرية سنة

١٤٠٥ م وهذه الطبعة خالية من التحقيق والمدقق ومثابرة طبعة الطبعة الوطنية في الاسكندرية سنة

١٢٩٠ م .

(٢) الفيت الذي انجم من ١١ .

عباس العزاوي

جمعها غير أمثاله ثم يوضح ما في المقامات أو يتناول التعليق على ديوان لا نستغني عنه فان
السبق كان نصيب من كان سابقاً في مجال الأدب والتفوق شأن الحائزين على المسلم الوافر
والحفظ العظيم .

تطرق للمروض والأوزان ونقل عن العلامة شمس الدين محمد بن ساعد الأنصاري انه
لا يبعد أن يكون الخليل أخذ عروضه من اليونان وتبسط في ذكر نواذر عليه ، وتعرض
للقصد والبلاغة والنحو ... وفي كل هذا كانت مادته خصبة ، ومباحثه ظلية مرغوباً فيها
وتعد بحق إجمالاً لتاريخ الأدب العربي ومطالب نافعة اتخذ الاستطراد فيها وسيلة للترويج
عن النفس لئلا يمل قارئ الشرح ، ولا يضجره استعراض أدباء العصور ، وأحياناً يذكر
ما يسمى احتضاراً عما كان السبب في بقاء هذا الكتاب متداولاً .

هذه المجموعة لم تكن في ظاهرها أدباً معاصراً إلا أنها تكشف عن قدرة هذا الأديب
الكامل بل تزيد أحياناً العلاقة العلمية بالأدب ، ينقد الشعراء والأدباء عند تسرب الخلل ،
وظهور الزلل ... ويزيد على نفسه الأدبي الخاضع بالألسان وأنسجامها والمعاني واتصالها
وصفوتها ...

نرى هذا الأثر الجليل تناول النقد الأدبي والنقوي والنحوي والبياني ولم يقتصر على
المنظوم وما فيه من صنعة أدبية ، بل تناول المنشور وما فيه من مزايا ، فكأنه استوعب
وجوه الأدب ، وذكر غرره لأدبائنا وشعرائنا كما أورد نماذج من شعره وفي عمله هذا
يبدى أدب المعاصرين واضحاً ويبين مكانتهم بوجه لائق ومن تعرض لهم :

١ - الشيخ صفى الدين بن سرايا الحلبي .

٢ - الشيخ محمد الدين محمد بن أحمد بن عمر المعروف بابن الظهير الأربلي الحنفي

وذكر له أبياتاً (١) .

(١) كتاب القيث الذي النجم ج ١ ص ٦٥٧ .

النقد الأدبي ومصادره

- ٣ - الشيخ الإمام الأديب الكاتب القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود ... ذكر له من الشعر الشيء الكثير وذكر له كتاب حسن التوسل .
- ٤ - الشيخ أنير الدين أبو حيان ، من العلماء وشاعر أيضاً .
- ٥ - جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة (١) .
- ٦ - ابن دانيال الموصللي .
- ٧ - شرف الدين علي بن جبارة .

ولم يترك علاقته بعلماء اللغة ، ولا بالأدباء الآخرين فذكر في خنلال مباحثه بيتي

الحريري :

بِمِ سِمَةِ مُحَمَّدٍ آثَارَهَا وَاشْكُرْ مَنْ أَعْطَى وَلَوْ سَمِيحَةً
وَالْمَكْرَ مَعَهَا اسْطَبَعَتْ لِأَتَانِهِ لِنَقْتِنِي السُّؤْدُودَ وَالْمَكْرَمَةَ

وذكر نموذجاً من هذا القبيل وإن للصائغاني مجاهدة في معارضة البيتين (٢) ولأبي البيان

بنا بن محمد بن محفوظ الدمشقي العالم اللغوي شيخ الطريقة البيانية المتوفى بدمشق في
غرة ربيع الأول سنة ٥٥١ هـ - ١١٥٦ م قصيدة نظمها على هذا النمط ثم شرحها وكان

الدافع له على ذلك تهمز الحريري البصري ومبالغته في الدعوى حيث جاء في المقامة الخلبية :

« فقال له : انشد البيتين المطرفين ، المشتهري الطرفين ، اللذين اسكتا كل نافر ،

وأبنا ان يمزوا بثالث ، فقال له اسمع لا وقير سمحك ، ولا هزم سمحك . وانشد من غير

تلبت ولا تربت البيتين المبتدئين » وكأنه أراد أن يلفت الأنظار إلى أن

الأدب بأجمعه ثروة الأمة ، ولا ينبغي أن يكون مقصوراً على عهد من عهوده ، فلا يترك

أديب ، ولا يهمل الشؤون الأدبية وإن الروح الأدبي ذات الصنعة هو صاحب التقدير

(١) كغاب الفيت الذي أنجم ج ٢ ص ١٢ .

(٢) المصدر نفسه ج ٩ ص ١٤٩ .

للغروقي الأدبية دون التحليل العلمي ، فلا يزاحم الأدباء في الحكم والممارسة حقها .
وتفضل هذه المجموعة بألوان أدبها وتاريخها وان كان أمثالها من شروح لامية
العرب وغيرها لا تخلو من فوائد إلا أن فوائد هذه حجة واختيارها بالغ حداً ، بل أن
ثقافة صاحبها وقدرته الأدبية جعلت لها هذه المكانة ، فلم يترك مناسبة إلا أورد لها ما شاء
أن يورد من أدب متصل فكان في الأدب ملوع ارادته كما يمزون في حافظته يختار منه
ما شاء متى شاء .

وهذه المجموعة اكتسبت رواجاً ومكانة ، ورغب فيها الأدباء ، فكانت من خير
الثروات الأدبية وصارت واسطة للاتصال بالموضوع الأدبي . وفي الموصل عدة نسخ منها
نسخة في الخزانة الحسينية كتبت سنة ٨٧٣ هـ وفي خزانة يحيى باشا نسخة كتبت سنة
١٢٠٨ هـ ^(١) وفي دار الكتب الوطنية في طهران نسخة كتبت سنة ٨٦٨ هـ ^(٢) .

وفي خزانة المتحف العراقي نسخة نفيسة كاملة فيها تذهيب وتلوين ، كتبها عمران
ابن محمد المغربي سنة ١٠١٧ هـ وأخرى نفيسة وقديمة كتبت في حياة مؤلفها تقع في جزئين
ضمن مجلد واحد ونسخ أخرى ^(٣) .

ومنه نسخة خزائنية وأخرى ناقصة في خزانة الأوقاف العامة ببغداد ونسخة كتبت
سنة ٩٨٢ هـ في خزانة الأزهر مع نسخ أخرى ^(٤) . واختصره جماعة من العلماء منهم :

١ - كمال الدين أبو البقاء محمد بن موسى الدميري المصري ، ولد سنة ٧٤٢ هـ - ١٣٤١ م
وتوفي سنة ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م . أتته في أربعة أيام سنة ٧٦٩ هـ منه نسخة في خزانة مجلس

(١) مخطوطات الموصل ص ١٤١ و ٢٢٩ .

(٢) مجلة المخطوطات الميرية ج ٣ ص ٢٤ .

(٣) مجلة سومر ج ١٤ ص ١٧٦ من مقال للأستاذ كوركيس عواد .

(٤) المصنف ص ١٦٠ وفهرس خزانة الأزهر ج ٥ ص ١٩٦ .

النقد الأدبي ومصادره

الأمة الايراني بخط محمد بن ابي بكر السنودي من تلامذة المترجم مؤرخة سنة ٨٠٥ هـ
وعليه اجازة بخط المؤلف (١). ونسخة أخرى كتبت سنة ١٢٤٥ هـ .

٢ - جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي المولود ليلة النصف من شهر شعبان
سنة ٨٦٩ هـ - ١٤٦٥ م والمتوفى بالهند ليلة العشرين من شهر شعبان سنة ٩٣٠ هـ - ١٥٢٣ م
وسماه (نشر العلم في شرح لامية العجم) أوله : الحمد لله الكريم المنان المنعم بالايجاد
والاحسان ...

واقصر فيه على ما يتعلق بشرح القصيدة وحل غريب لغاتها وتوضيح معانيها وكان
يظن أن المقصود أمر علمي وأنه يجب أن يقتصر على الحاجة ، فلا يتجاوزها في حين ان
تكثير الأمثلة والاستطرادات خير ممارسة وتمارين على الأدب للتمكن والتضلع فيه . وهذا
الاختصار أزال صفوتها وأحبط أمل مؤلفها وغايته من وضعها وقد أخل بالكثير مما أراد
الصنفي وحذف منها ما عده فضولاً ولكنه لم يدرك المغزى بل أهمله وأضاع الغرض
والقصد العظيم الذي قصد ، ومهما كان فليس من الانصاف أن تقتصر على بعض ما فيه
دون بعض .

منه نسخ خطية في دار الكتب المصرية . وطبع في المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٩ هـ
و ١٣٢٠ هـ (٢) وفي المطبعة الكستلية سنة ١٢٨٣ هـ و ١٢٩٢ هـ ضمن مجموعة وعندني مخطوطة
منه . ومنه نسخة ضمن مجموعة في خزانة السيد الزبير بن صالح حاكم تطوان (٣) ونسخة
في خزانة المتحف العراقي مؤرخة في ١٩ ربيع الأول سنة ١٢١٥ هـ .
ورد عليه الدماميني في كتابه نزول الغيث وسيأتي بحثه .

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية ج ٣ ص ٤٢ .

(٢) فهرس دار الكتب المصرية ج ٣ ص ٤١١ .

(٣) مجلة معهد المخطوطات العربية ج ١ ص ١٨٢ .

٧- نصرة الشاعر على فلول السائر :

تأليف الصلاح الصفدي منه نسخة في خزانة المرحوم الأستاذ أحمد تيمور باشا وهذا الكتاب ولد حركة فكرية تجاه كل من المثل السسائر والملك الدائر وسبق ان ذكرنا المؤلفات المتعلقة بهذين الكتابين من نقدٍ وتأييدٍ فلا نعيد القول ثانية ..

٨- غير العبر :

تأليف جمال الدين أبي بكر محمد بن محمد المعروف بابن نباتة المصري ولد بالقاهرة سنة ٦٨٦ هـ - ١٢٨٢ م وتوفي سنة ٧٦٨ هـ - ١٣٦٦ م الكاتب الشاعر . وهذا الكتاب في مخترعاته وما سرق منها ويشير فيه الى سرقات الصفدي منه (١) .

٩- الخبز في سرقات ابن مخنف :

تأليف شمس الدين محمد بن حسن النواجي المصري . ولد سنة ٧٨٥ هـ - ١٣٨٣ م وتوفي سنة ٨٥٩ هـ - ١٤٥٤ م . وابن حجة هو تقي الدين أبو بكر بن علي المعروف بابن حجة الحموي المولود بحجة سنة ٧٧٧ هـ - ١٣٧٥ م والمتوفى سنة ٨٣٧ هـ - ١٤٣٣ م . منها نسختان في خزانة الأزهر (٢) .

١٠- نزول الفيء :

التتبع الأدبي حرّ والآراء فيه تابعة للمواهب وكل أديب يدقق الأدب حسب اتجاهه ومقدار علمه ... والأمل معقود في أن ينال التخصيص حقه واختلاف وجهات النظر فيما يتطلبه الأدب في أصوله ومزاياه وتقدمه ، فينال حظه من تراثنا الأدبي في الدرجة الأولى ، ولا نهمل الاستفادة من آداب الأمم لتتسع آفاق الثقافة الأدبية وهذا جل ما نهدف وغاية

(١) حذبة البارقي ج ٢ ص ١٦٤ .

(٢) فهرس خزانة الأزهر ج ٤ ص ٦٩ .

النقد الأدبي ومصادره

ما ينبغي ، فيؤدي إلى حركة فكرية من طريق التاريخ الأدبي ونقد .

وكتاب « نزول الغيث » تأليف بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي الدماميني العالم النحوي . فرغ منه في ١٩ شهر ربيع الأول سنة ٧٩٥ هـ وكانت ولادته بالاسكندرية سنة ٧٣٣ هـ - ١٢٦١ م ووفاته في شعبان سنة ٨٢٧ هـ - ١٤٢٤ م . تناول كتاب (الغيث الذي السجم في شرح لامية العجم) لشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي فأوسع القول فيه واتسدى لنقده وناقش ، وطرق فيه مطالب غزيرة في مادتها العلمية والأدبية بالرغم من ضيق مباحته ، إلا أن فوائده جمة وعده وافر وسمى كتابه « نزول الغيث » لأنه أنزل مباحث الصفدي إلى الخفيض ، وأوقعه من اعتراضاته الأدبية في الطويل العريض ، حسب تعبيره ثم أطال في تسمية لامية العرب وما يقابلها من لامية العجم ثم علق على بحث مهم في العروض يدل على تمكنه منه ^(١) ونقد ابن حجاج في أن شعر الوري كان صحيحاً قبل أن يخلق الخليل بن أحمد ، وغلط الصفدي في الزخاف وأخذ عليه في قوله :

اصالة الرأي صانتي عن الخطل وحلية الفضل زانتي لدى العطل

إن تاء التأنيت الساكنة في صانتي فاعل ، ولم يجعلها علامة التأنيت ، فقال : إن هذا قول بعض النحاة إلا أنه على خلاف رأي الأكثرين الممول عليهم ، وكرر القول فيها عند الكلام على قوله :

إن العلي حدثتني وهي صادقة فيما تحدث أن العز في النقص

فبين الأستاذ الصفدي أنها (علامة التأنيت) ولم يجعلها فاعلاً بل قال : إن الفاعل ضمير مستتر فلم يجعل هذا مصححاً فيه لما ذكر سهواً أو عمداً لإبداء الآراء ، فاستعمل

(١) انظر في العروض (جواهر البحور) ثم شرحه بكتابه (معدن الجواهر) .

عباس العزاوي

تاء التأنيث الساكنة فاعلاً في حين أن الصفدي كان قوله الأخير مصروفاً إلى أنها علامة تأنيث وصاحبنا أصر في محاولة أن يبدي خلافاً ، فكانت هذه المحاولة فاشلة .

ثم أورد عليه ما اقترحه في (بيت البحري) في توجيه النظم إلى نوع من أنواع البديع ورجح أن تبدل بعض ألفاظه بغيرها ليظهر أثر الصنعة الأدبية فأبدي الدماميني أن هذا تابع لرغبة المتأخرين ، وإن البلاغة مراعاة مقتضى الحال لما كان أيام البحري فكان صواباً ولتقدم هذا فيمنه الأدبية ولا تزال ترى كثيرين ساروا على طريقة الصفدي ، ولم يعبأوا بالزمان وأدبه الشائع في حديثه والأدب القديم ووجوه استعماله فإن أيام العماد الاصمهاني والقاضي المناضل ، وابن رشيمة السكاي غير أيام الجاحظ وابن المقفع وأمثالهما في أدب العصر الذي كانوا فيه والفروق بينه وبين عصر أولئك ، ومن بعدهم أمثال ابن حبيب وابن عرشاه ، والصفدي نفسه وتولى الاستيلاء والإلغاف مما أوقعا في الغلط .

وهكذا تكلم في حسن التعليل المسمى عند بعضهم (بالتذييل المثالي) وناقش المؤلف فيه وخرّب الأمثلة الموضحة ، فكانت خير ما يستشهد به وتدلل على غزارة علم ومما ذكره الصفدي أن الجمع لا يوصف إلا بما يوصف به المفرد من الجمع بالمفرد ومثله المثنى أو كما قال الدماميني من أنه إذا وصف المثنى أو الجمع بشيء ، فلا بد أن يكون مفرد الصنعة صالحاً لأن يوصف به مفرد المثنى أو الجمع ، نأخلف الواحد عن الآخر في الوجهة التطبيقية فقد ذكر الصفدي ذلك بمناسبة البيت :

ولا أهاب الصفاح البيض تسعدي بالصبح من خلل الأستار والكال

وأورد آية « وأخر متشابهات » ومضى على هذا المتوال وكان الصفدي اشترط علوية الألفاظ ، وأنها أمر مهم في البلاغة فعارضه المؤلف في محمل استعمال الغريب والوحشي المتوعر مع التسليم بما ذكره ، وهكذا بين محمل استعمال (لا) النافية

للجنس ، وذكر مذاهب النحويين في وجود نحوية عديدة ، وأورد اختلافهم فيها والمفروض ان الأديب مستكمل المدة فيها وغلاظة نداء في (نداء عن الأهل) وان أصله (نائي) ولم يكن كما ذكر من مثل جاء وشاء ... والمساءلة صرفية ، ويظهر أن القول قول الناقد وان الحق معه دون الصفاي إذ لا ضرورة الى تعديلات بعيدة .

وغلاظة في مسائل نحوية وصرفية عديدة وهي من اختصاصه وأبدى تقصير ، وأكد أن توجيهه لم يكن في محله من هذه المسائل ... وذكر من النحويين شمس الدين الأصبهاني والقاج التبريزي وأورد شرحها على الكافية . وغلاظة في اللغة في معنى (سائر) مبيناً ان الجوهرى اذا انفرج لا يقبل قوله ما لم يؤيده آخر ، وهذا ما نقوله دائماً من ان الصحاح والقاموس قد جرت عليها تصحيحات وأستدراكات ونقد فأهملنا ذلك ، وجدنا على كتاب بعينه .

والملاحظ أنه تحامل تحاملاً منكراً في مواطن مثل قوله : « لو استحي هذا الرجل ما سطر بقامه في الكتب هذه الفصائح » ويريد الأدب المكشوف وقوله « هسكنا يكون الأدباء العارفون بلغة العرب لمعنى الحقيقة والمجاز ... ؟ » اه في محل الاستهزاء ، وقوله : « وهذه سقطت لا يتسل دنس عارها البحر » اه .

ولا حاجة بنا الى ايراد كل ما قال ، كما أنه ليس من الصواب الاعتذار له وقد قيل قديماً « مناظرك نظيرك » فلم يكن نطقن فيه وجه والمرء لا يكون معوناً من غلط ، ولا يؤخذ بهذا العنف مما لا نعتقد بصحة ما قال الدماميني أو ما قال نده وكل احد يؤخذ من أقواله ويرد في مثل هذه المباحث .

ولعل السب والشتم من بعض المعاصرين مقتبس من أمثال هذا ، وإلا فلا نستطيع ان نعد منهم ذلك طبيعة ولا يصح بوجه ان نقول : إن النهج الأدبي يقتضي السب ، والأدب بمعناه العام يمنع قول ما هو خلاف الأدب .

عباس العزاوي

ويهمنا التنبيه على بعض ما وجد من نقص أو غلط تقطع بصحته منها كان منشؤه ،
والمحفوظ أنه أراد أن يظهر قدرته ، فاتخذ ذلك وسيلة ولكنه لم يلتفت الى قيمة كتاب
الصفدي النفيس في الأدب العربي وتاريخه ، والنقد ومكانته ، فلا شك أنه كان أكثر
صلة بالأدب ومزاياه من الناقد ، فجاء التحامل عليه منتقداً بل لو لم تكن له إلا معرفة
العلاقة التاريخية لكفاء فضلاً للدلالة على ادبه الغزير ، وفضله الكبير ، ومقدار عده
الوافر وهذا ما لا يقتضيه واجب الذمة في النقد وربما كان مبناه الاعتقاد بصحة ما ذهب
اليه المؤلف الذي توجه عليه النقد وفي هذا نكران للسكينة الأدبية فمن الضروري النظر
اليها كالنظر الى تلك بمقياس متساوٍ بل أكثر ...

وهبنا علمنا أن له أخطاء أو أغلاطاً فهذه لا تخجل بمكانته ولا تؤدي الى التقليل من
شأنه كما اننا لا ننكر فضل الناقد ، ويلاحظ هنا : أن النقد متوجه على ما يخص الأغلاط
النحوية والصرفية واللغوية دون النقد الأدبي كما هو الشأن فيه أيام العصور العباسية ومن
ثم روعي هذا النقد وحده دون غيره واستمر في حين أن النقد الأدبي اكتفي فيه بما جاء
في كتب البلاغة .

ونزول الغيث منه نسخة ناقصة الأول بخط المؤلف ضمن مجموعة في خزانة الدكتور
داود الجلي وجاء في مخطوطات الموصل (وبعد ختام الكتاب تأتي صفحة بخط مغربي
جميل وإذا به خط ابن خلدون وقد قرئ الكتاب بقوله : « الحمد لله وقفت على هذا
الكتاب ، روضة المنتاب ، ونزهة المجتنب ، وشفاء الجاهل والمرتاب ، والكفيل لغريم
القوائد بالرضى والأعتاب وإذا البحر يعب عبابه ، والتشقيح الصريح قد تخض لبابه ،
والفخر ناعمة العلمية قد تظاهرت اسبابه ، وروض المعارف ذو الظل الوارف قد استجبت
شبابه ، وطور الكمال تفكر الانساني ، والعلم انساني ، قد انفتح بابه ، وما لساحب هذه
الأردان والسابق في هذا الميدان ، ان لا يكون له بالفخر يدان ، ويشمخ بأنف بني

النقد الأدبي ومصادره

عبد المذان ، فيبعد في جو السكّال بمنظاره . . . كتبه بحبه العارف بكلمه عبد الرحمن بن محمد بن خالدون الحضرمي وفقه الله واعانه على الانصاف والاعتراف بمنه وجوده « ويظهر الورقة تقريظ آخر لأحمد بن محمد السبتي المالكي ويخطه أيضاً ثم يأتي تقريظ ثالث آخره ناقص (١) .

وعندي نسخة من هذا الكتاب مؤرخة في ١٨ من شهر رمضان سنة ٨٧٨ هـ بخط عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد المخربي السبتي وعليها اعتمدت في بحوثي .

هذا ما أمكن بيانه في النقد الأدبي وتاريخه وذكر مصادره وما جرى أخيراً على الاستاذ الصفدي من نقد وقع من الاستاذ الدماميني . ولم يقف الأمر عند هذا الاستاذ بل تناوله آخرون فكان تقدم قاسماً ومنهم أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحيى التلساني المعروف بابن أبي حجة صاحب التصانيف العديدة . ولد سنة ٧٢٥ هـ - ١٢٢٤ م وتوفي في سلخ ذي القعدة سنة ٧٧٦ هـ - ١٢٧٥ م . قال في نقد الصفدي :

إن ابن أبيك لم تزل سرفاته تأتي بكل قيحة وقبيح
لسب المعاني في النسيم لنفسه جهلاً فراح كلامه في الريح
وامثال هذا يدل على حذق سراء من ابن نباتة أو من الدماميني أو من غيرها .
والانظار تختلف وقد تكون من محب مفرط أو من عدو مبغض . . .

عباس المزالي

(١) مخطوطة الوصل من ٢٧٨ لندكتور داود الجاني المتوفي في النوسلي بتاريخ ٢٩ ربيع سنة ١٩٦٠

ومنه نسخ في دار الكتب المصرية القاهرة ج ٣ من ٤١٠ .